دور الأديرة في النهضة الكارولنجية

٧٦٨-٨١٤م

إعـــداد

د. عز العرب أحمد سليمان

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة أسيوط

مقدمة:

لاشك أن انتشار المسيحية في أراضي الإمبراطورية الرومانية وما تبع ذلك من ازدياد نفوذ الكنيسة ومؤسساتها، أتاح لها الفرصة لتكون القوة الوحيدة التي تستطيع المحافظة علي تراث الحضارة الرومانية القديمة، بعد انهيار صرح البناء السياسي للإمبراطورية الغربية علي يد البرابرة في سنة ٤٧٦م. فمنذ ذلك الوقت أصبحت الكنيسة الغربية تمثل أعظم أداة سياسية وحضارية في غرب أوروبا، وذلك بعد البعث الجديد الذي بثه البابا جريجوري العظيم (٥٤٠-٦٠٤م) في البابوية ومؤسساتها ، كما استمر هذا العطاء بفضل ما تلقته البابوية ومؤسساتها الكنسية من تأييد ومساندة من ملوك مملكة الفرنجة الميروفنجين ثم الكارولنجيين من بعدهم، ويعد شارلمان من أبرز هؤلاء الحكام الذين لعبوا دوراً كبيراً في تحقيق نهضة علمية كبيرة، شاركه في تحقيقها رهبان الأديرة ورجال البعثات التبشيرية، الذين كافحوا في سبيل نشر المسيحية بباقي أصقاع العالم الوثني آنذاك .

وقد مثلت الأديرة في العصور الوسطي المراكز الرئيسة والحضارية في غرب أوربا، وإليها يعود الفضل في حفظ التراث الثقافي والحضاري لغرب أوربا من الضياع علي أيدي البرابرة ــ الذين اجتاحوا أوروبا في القرنين الرابع والخامس الميلاديين ــ والمحافظة علي هذا التراث ونشره في أنحاء أوروبا. وباعتلاء شارلمان (٧٦٨-٨١٤م) عرش مملكة الفرنجة، والذي يعد أبرز ملوك الأسرة الكارولنجية، حيث حاز اللقب الإمبراطوري سنة ٨٠٠م، بعد بسط نفوذه علي جميع أنحاء مملكته ، ونشر المسيحية بين ربوع الوثنية المظلمة في الغرب، ورفع شأن الكنيسة وحمايته للبابوية من خصومها. تمكن من أن يتزعم نهضة فكرية وأدبية عظيمة شملت الاتجاهات الثقافية والاقتصادية والفنية، والتي عرفت باسم " النهضة الكارولنجية " وقد تركزت

هذه النهضة في بلاد الغال، وسرعان ما امتدت هذه النهضة للأقطار الأوربية المجاورة.

ولم تقتصر مشاركة الديريين علي نشر المسيحية والحياة الروحية في كل أنحاء أوروبا فحسب، بل شاركوا في عمليات البناء والإنتاج التي حفظت للحضارة الغربية كيانها. كما قدمت هذه الأديرة العون إلي الإمبراطور شارلمان ومعاونيه من رجال الفكر الذين استقدمهم من خارج مملكة الفرنجة، بهدف وضع الخطط والحلول لقيام نهضة علمية شاملة في غرب أوربا والتي عرفت بالنهضة الكارولنجية أو بنهضة شارلمان ، والتي لم تقتصر إفرازاتها علي النواحي السياسية والحربية والاقتصادية فحسب، بل برزت أيضا واضحة في النواحي الثقافية التي شملت العناية بالتعليم والمدارس وإعادة نسخ المخطوطات القديمة النادرة وتصحيحها، كما شارك الديريون في إحياء العديد من الدراسات الدينية والأدبية والفلسفية والتاريخية.وبذلك يمكن القول أن الديريين لعبوا دوراً مهما في تنفيذ ما كان يصبوا إليه شارلمان في نهضته، وبخاصة وأنهم كانوا يمتلكون الكثير من أدوات هذه النهضة العلمية والحضارية.

وهذا ما تسعي الدراسة إلي إبرازه، راجياً من الله تعالي التوفيق والسداد.

الباحث

د/عزالعرب أحمد سليمان

الأديرة ودورها الحضاري في غرب أوروبا قبيل عصر شارلمان:

ارتبط تاريخ الرهبنة والديرية في غرب أوربا، بأربعة أسماء لامعة من بين رجال الدين الغربيين الذين زار بعضهم مصر وعايشوا هذه الظاهرة عن كثب ويأتي في مقدمتهم القديس مارتن التوري[١] Martin of Tours (٣١٦-٣٩٧م)، والقديس حنا كاسيان[٢] Jean Cassien (٣٦٠-٤٣٥)، في حين أن القديس قيصر الآرالي Cassarius of Arles (٤٧٠-٥٤٢م) يعود إليه الفضل في وضع أول قواعد ونظام للديرية في غرب أوربا[٣]. ولم تصبح الديرية قوة فعالة في المجتمع الأوربي إلا علي يد القديس بندكت St. Benedict (٤٨٠-٥٤٣م) [٤]، الذي وضع القواعد والأسس التي ارتقت

---

(١) Bouttier.M.: Monasteres: des pierres pour la priere, (Paris,1993)., PP. 9-10 , Banniard .M.: Genese Culturelle d`L`Europe .,(Paris,1990), P.83, Fauvarque: Christianisation en Gaul de Clovis a Charlemagne .,P.18 (Paris,1996) ، دوسن(كرستوفر): تكوين أوربا، ترجمة، محمد مصطفي زيادة و سعيد عبد الفتاح عاشور ، (مؤسسة سجل العرب،١٩٦٧م) ص ٢٣٩.

(٢) كانتور : التاريخ الوسيط، قصة حضارة البداية والنهاية، ق١، ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الخامسة، (القاهرة،١٩٩٧م) ص٢٦٢، الأب متي المسكين: رهبنة مصر وديرالقديس مقار(القاهرة،١٩٨٥م) ،ص٢١

(٣) موس (هـ): ميلاد العصور الوسطي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مكتبة عالم الكتب (القاهرة،١٩٦٧م) ص١٣٤، محمود سعيد عمران :حضارة أوربا العصور الوسطي،(دار المعرفة الجامعية،١٩٩٨م) ص١٠٣

(٤) ولد القديس بندكت حوالي سنة ٤٨٠م، في إقليم نورسيا Nurcie،(سبعون ميلا شمال شرق روما) من أسرة ثرية، أرسله والديه إلي روما من أجل التعليم ، لكنه عندما رأي انتشار الرزيلة في المجتمع آنذاك، قرر الانسحاب من هذا العالم، والتخلي عن ميراثه الضخم ، وصمم علي اعتناق الحياة الديرية، فتوجه إلي كهف سيباك Subiaco ،حيث بدأ حياة التقشف والانعزال، وذكر عنه أنه كان كث الشعر حول صدره، وكان يرتدي لباس من جلد الحيوانات ، حتى ظن بعض الرعاة الذين يسكنون حول هذا الكهف أنه حيوان مفترس، فأرادوا قتله ، ولكن مع مرور الوقت تيقنوا شخصيته ، وكانوا أول من تبعوه ونشروا اسمه، حتى قدم الناس إليه ليأخذوا منه العظات ويلتمسوا منه البركات. وفي سنة ٥٢٩م استقر به المقام أخيرا في مكان بين روما ونابولي فوق أعلي قمة جبل كاسينو Cassino ، حيث وجدت أطلال معبد وثني قديم ، شيد عليه دير كبير عرف باسم " مونت كاسنيو" أنظر، St. Gregory : Life and miracles of St. Benedict, P. 2.,,

بالديرية الغربية،[١] ولتسهم بدور كبير في مضمار التقدم الإنساني[٢].فقد اتسعت قاعدة الدير البندكتي وأقبل الناس علي هذه الأديرة، وأضحي الدير البندكتي مركزاً لشبكة واسعة من الأديرة في غرب أوربا، وأصبح دير مونت كاسينو هو المركز الرئيسي لكل الأديرة التي طبقت قواعد بندكت الديرية[٣].

وقد تابعت البابوية نشاط الأديرة في الغرب الأوربي وراقبت بدقة سير الأمور الدينية بها، وكان من أعظم البابوات الذين ساهموا في هذا النشاط الديري البابا جريجوري الأول[٤] (٥٤٠-٦٠٤م)، الذي تابع إرسال البعثات التبشيرية من رهبان هذه الأديرة لنشر المسيحية في الأماكن الوثنية والتي لم تصلها الديانة المسيحية وبخاصة في بريطانيا وأيرلندا وبعض الأماكن في

---

(١) Cannon. :Histoire du Christianisme Au Mayen age, P. 20 سعيد عاشور: تاريخ أوربا العصور الوسطي، ج٢،(القاهرة،١٩٨٦م)،ص ٢٧

(٢) Butler: "Monasticism" In Cam. Med. Hist.(Cambridge,1964), Vol.1, P. 540) Brown (p): The Rise of Western Christendom A.D.200-1000, 2nd Edition, (Princeton,2003) .,P.221 ,

موريس كن: حضارة أوربا العصور الوسطي،ترجمة قاسم عبده قاسم، طبعة أولي (القاهرة ١٩٩٤) ص٦٥، سعيد عاشور: تاريخ أوربا ، النظم والحضارة، ج٢،ص٢٧ فيشر: تاريخ أوربا العصور الوسطي،ج١،ترجمة مصطفي زيادة والباز العريني،ط٥(القاهرة،١٩٦٩)ص١١٣.

(٣) The Count De Montalembert : The Monks of the West., Vol., 5 P.196, Butler: "Monasticism" In Cam. Med. Hist.,(Cambridge,1964) Vol.1, PP. 540-541, Bettenson.H.: Documents of the Christian Church,2nd Ed., (Oxford, 1963),P.117.

(٤) ولد جريجوري في روما وهو ينتمي إلي أسرة عريقة من أعضاء مجلس الشيوخ، ورث ثروة طائلة وارتقي سلم المناصب السياسية حتى أصبح عمدة لمدينة روما وهو في الثالثة والثلاثين من عمره، إلا أنه قرر إنفاق ثروته وقام ببناء سبعة أديرة في صقلية وواحدًا في روما، ووزع باقي الثروة علي الفقراء ، وحول قصره إلي دير أسماه دير القديس أندو St. Andew ، وأصبح هو أول راهب فيه، ثم أصبح شماسا للبابا بندكت وسفيرًا في البلاط الإمبراطوري. وفي سنة ٥٨٦م وقد عين رئيساً لدير أندو، وبعد وفاة البابا بلاجيوس تم اختياره خلفا له علي كرسي البابوية،انظر: St. Gregory Life and miracles of St. Benedict, P.III,IV. Cannon: Histoire du Christianism .,P.35.

بلاد الغال، وكان من أعظم إرسالياته تلك التي كان علي رأسها القديس أوغسطين وأتباعه لنشر المسيحية في انجلترا وايرلندا. [١] وبذلك يمكن القول أنه بفضل حماسة هؤلاء الرهبان الدينية من جهة، ومساندة الأباطرة والباباوات من جهة أخري، نجحوا في تحويل الوثنيين في بلدان الغرب الأوربي إلي المسيحية. [٢] وأسسوا عددًا كبيرًا من الأديرة لا في فرنسا فحسب بل في ألمانيا وسويسرا وإيطاليا أيضا [٣]، قدر لها أن تستمر كمراكز للثقافة والحضارة لعدة قرون تالية في العصور الوسطي. [٤]

والمعروف أن الأديرة ظلت طوال فترة العصور الوسطي تمثل المراكز الرئيسة للثقافة والتعليم، وكان رهبانها هم الحراس والمعلمون لكل العلوم، [٥] فمنذ سقوط روما سنة ٤٧٦م في أيدي البرابرة،وحتى القرن الثالث عشر كان الفضل للرهبان في الحفاظ علي التعليم والدراسة من " دنس البرابرة

---

(١) St. Gregory Life and miracles of St. Benedict,P.IV ,Cannon: Histoire du Christianism Au Mayen age,P.37, Bouttier.M.: Monasteres: des pierres pour la priere, (Paris,1993) .,P.11,Butler: "Monasticism" In Cam. Med. Hist.,Vol.1,P.541.

(٢) Cannon: Hist., du Christianisme., P.17 ، دوسن: تكوين أوربا،ص٢٣٩، نعيم فرح: الحضارة الأوربية في العصور الوسطي،(دمشق،١٩٩٩-٢٠٠٠م) ،ص٢٥٣ ديورانت: قصة الحضارة، المجلد السابع ،ج١٤، ترجمة محمد بدران، (القاهرة،٢٠٠١م) ١٤،ص٣٦٦

(٣) Banniard: Genese Culturelle.,P.86, Cannon: Op.Cit.,P.19, Butler: Monasticism", In Cam. Med. Hist.,Vol.,1,P.534-535,
دوسن(كرستوفر): تكوين أوربا، ترجمة، محمد مصطفي زيادة و سعيد عبد الفتاح عاشور،(مؤسسة سجل العرب،١٩٦٧م)،ص٢٤٠ محمود محمد الحويري: اللومبارديون في التاريخ والحضارة ٥٦٨-٧٧٤م(القاهرة،١٩٨٥م) ،ص١٨٢

(٤) Clark:The Culture of Medieval English Monasticism.,P.3,
سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمد أنيس: النهضات الأوربية في العصور الوسطي وبداية الحديثة (القاهرة،١٩٥٩)،ص٢٨.

(٥) Bouttier: Monasteres: des Pierres.,P.13,
كانتور: التاريخ الوسيط ، ق١، ص٢٢٣ .

ليبقي هذا الإرث كاثوليكياً في أيدينا ". [١] وفي الوقت الذي اختفت فيه المدارس الإمبراطورية القديمة، والمدارس الخاصة التي كانت منتشرة آنذاك، حمل الرهبان ورجال الكنيسة لواء العلم والمعرفة،[٢] فقد عمل علماء الرهبان بحماس كبير في العلوم الدينية والدنيوية، وكانت أقلامهم هي التي دأبت دون كلل أو ملل علي حفظ آثار أجدادهم القدماء اليونان والرومان. [٣] كما حملت القواعد التي نظمت الحركة الديرية منذ البداية علي التركيز علي التعليم، وشددت علي ضرورة معرفة القراءة والكتابة ، وهددت بعدم بقاء من لا يعرف القراءة والكتابة بالدير، وذلك بهدف حفظ الإنجيل وقراءته[٤]، لذلك كان من الضروري أن يقرأ كل راهب أربع ساعات يوميا علي الأقل، ومن هنا اهتمت الأديرة بوجود مكتبة عامرة بالكتب النفيسة والمخطوطات النادرة لكنوز العلوم المختلفة، حتى إن قلالي (مساكن)الرهبان الخاصة، كانت مليئة بأنواع الكتب المختلفة لمداومة المطالعة والقراءة[٥].

---

(١) The Count De Montalembert : The Monks of the West., Vol., 5 P.103

(٢) Rashdall (H): The Universities of Europe in the Middle Ages., (Oxforde, 1964) P.26.

(٣) Deanesly(M.):" Medieval Schools to C. 1300" In Cam. Med. Hist.,Vol. 5, P.765, جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الثاني، ترجمة محمد سليم سالم، طبعة٢(القاهرة،١٩٩٧م) ج٢،ص٢٢١.

(٤) Brown :The Rise of Western Christendom., P.196, فيلليكس(ارماند): حياة الشركة الباخومية، ثلاثة أجزاء، ترجمة أشعياء ميخائيل، طبعة أولي (القاهرة،١٩٨٦م)، ص ٢٧٩.

(٥) The Count De Montalembert: The Monks of the West., Vol.,5, P.104, رءوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية علي العالم، مكتبة المحبة (القاهرة،١٩٧٦)،ص٥٢

كما وفرت القواعد البندكتية[١] كل أسباب الهدوء والسكون أثناء القراءة، ومنع أي ثرثرة أو لهو لكي يتدبر الرهبان ما يقرءون ، كما كانت هناك مراقبة من قبل الرهبان القدامى للقراءات الفردية للرهبان لضمان جدية القراءة. [٢] ومع مرور الوقت أصبحت القراءة والكتابة أحد أهم شروط الالتحاق بالأديرة، وتم ترتيب الرهبان في الدير حسب إجادتهم القراءة والكتابة ودرجة ثقافتهم،لذلك تم توزيع الرهبان المثقفين بين الأمين، بهدف تعليمهم ، كما تميز الرهبان المثقفون بامتياز الجلوس بمائدة رئيس الدير ، كما فرضت القواعد الديرية علي الراهب الذي لا يستطيع العمل اليدوي تعليم الرهبان الأميين القراءة والكتابة. [٣] كما اهتمت القواعد الديرية أيضا بمهمة النساخ في الأديرة ،حيث ضم الدير حجرة للنسخ Scriptorium ، وكان علي الرهبان نسخ الكتب المقدسة القديمة والمخطوطات وكتب الآباء وسير القديسين، وخصص لكل فئة من النساخ رئيس يشرف علي عملهم. [٤] لذلك عكف رهبان الأديرة علي نسخ المخطوطات التي كان يصعب قراءتها، في ظل ظروف مكانية بسيطة، مستخدمين الشموع أحيانا في غرف النسخ التي

---

(١) وضع بندكت قواعده الديرية بعد أن وصل لمرحلة سنيه وخبره أهلته علي وضع هذه القواعد التي قامت علي مبدأ التوازن بين القناعة والتقشف، وتضمنت بنود قواعد بندكت الديرية نحو خمس وتسعين فصلاً، تتحدث عن الحقوق والواجبات بين الرهبان ورئيس الدير، وكذلك القواعد الأساسية التي تنظم السلوك العام للرهبان داخل الدير، وأيضا كيفية انتخاب رئيس الدير والعمل المنوط به، إلي جانب بعض القواعد الإيمانية التي تجمع بين الزهد والطهارة مثل: وإنكار الذات والطاعة العمياء، والإخلاص التام لله ، والتفاني في خدمة الغير، كما نحت القواعد جانب المغالاة في تعذيب الجسد وإذلال النفس ، وحرمت علي الرهبان الملكية الخاصة داخل الدير، أي تشكيل البناء الداخلي للدير. أنظر: Cannon:Hist.,du Christ.,P.20,

(٢) Banniard.:Genese Culturelle d`L`Europe., P.88

(٣) Ibid., PP.85-87

(٤) جوزيف نسيم: نشأة الجامعات في العصور الوسطي،(النهضة العربية،١٩٨١م) ،ص٣٩، رءوف حبيب: المرجع السابق،ص ٥٣ ، محمد محمد مرسي الشيخ: النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطي(إسكندرية،١٩٩٦)،ص١٩٩.

تملؤها البرودة الشديدة، لا يبغون شيئاً سوي أن تحظي جهودهم مرضاة الله الواحد،[١] لذلك يمكن القول أن الرهبان شكلوا القوة الاستمرارية في ميادين العلم والتقدم منذ القرن السادس الميلادي،[٢] ويمكن اعتبارهم رسل حضارة علي حد قول البعض. [٣]حيث يعود إليهم ــ وحدهم ــ الفضل الأول في حفظ المخطوطات النادرة ونسخها حفاظاً عليها من الضياع والنسيان، فالواقع لم يكن ثمة وسيلة غير الأديرة لصون ما تبقي من نور المدنية الأوربية، حين لم يكن في أوربا سوي ظلام الحروب والغزوات. [٤]

لم يقتصر اهتمام رهبان الأديرة بالعلوم الدينية فقط، فقد كان للدراسات الكلاسيكية نصيب من عناية رهبان الأديرة والنظام الديري في أوربا الذي إليه يعود الفضل في حفظ التراث الكلاسيكي حياً حتى بعد سقوط روما سنة ٤٧٦م،[٥] والدليل علي ذلك أن آخر شخصية من شخصيات الموظفين المدنيين الرومان العارفين بتقاليد الثقافة الأوربية الكلاسيكية وهو كاسيدورس، كان أحد مؤسسي الأديرة، ومؤلفاً لأول منهج للدراسات الديرية، وهو الذي جمع بين التراث الكلاسيكي والمسيحي،[٦] وبخاصة بعد انتشار قاعدة بندكت الديرية في كل إيطاليا والغرب الأوربي. [٧] وتظهر مشاركة

---

(١) نعيم فرح: المرجع السابق،ص٢٥٤

(٢) كانتور: المرجع السابق،ق١،ص٢١٦

(٣) دوسن: تكوين أوربا،ص ٢٥٣

(٤) Brown: The Rise of Western Christendom.,P.196 ، فيشر: تاريخ أوربا العصور الوسطي ،ج١، ترجمة محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريني، طبعة خامسة (دار المعارف،١٩٦٩م) ، ص١١٣- ١١٤,

(٥) La Rocca: Italy in the Early Middle Ages, 476-1000, (Oxford, 1998), P.197.

(٦) Brown: The Rice of Western Christendom.,PP.196-197 .

(٧) دوسن: تكوين أوربا،ص ٢٥٣، كانتور: المرجع السابق،ق١،ص٢٣٦.

الرهبان في دروب مختلفة، في عصر الأسرة الميروفنجية [١] وكذلك في العصر الكارولنجي الذي أسسه بيبين القصير والد شارلمان، كما حفلت هذه الأديرة ورهبانها برعاية حكام ملوك الفرنجة وبخاصة الكارولنجيين لها، وتحديداً في المتعلقات المالية وتوضيح الخدمات الأسقفية. [٢]

أما عن المدارس الديرية قبل النهضة الكارولنجية فقد كانت مدارس داخلية، واعتمدت المعاملة فيها علي الفردية مع المتدرب، وحيث كان الأطفال يسلمون للدير في سن السابعة وأحيانا أصغر ليتعلموا القراءة وتلاوة الكتاب المقدس، أما أطفال الأمراء والنبلاء فإنهم يسلمون للتدريب بواسطة رؤساء الأديرة لكنهم لم يكونوا أعداداً كبيرة، ثم يتم عمل حصر دقيق داخل المدارس الديرية لما تعلموه وبخاصة في الخطابة والتبشير ،فإلي جانب تعلمهم علوم اللاهوت، يجب عليهم أيضا أن يتعلموا القراءة والكتابة، والموسيقي والغناء الديني واللغة اللاتينية، إضافة إلي ذلك نلاحظ أن الرهبان البندكتيين كونوا أعداداً كبيرة من المجموعات، بهدف الاتصال لتلقين القرويين في خارج الأديرة أصول العقيدة ،وصلاة السيد المسيح والوصايا العشر وحفظهم عن ظهر قلب [٣] ،أما مدارس الأديرة بالنسبة للرهبان والتي اعتبرت من أعظم المراكز الرئيسية التعليمية في العصر الكارولنجي، حيث

---

(١) كان الإمبراطور جوليان Julian(٣٦١-٣٦٣م) قد سمح للفرنجة بعبور الراين والاستقرار علي حدود الإمبراطورية في منطقة حوض الراين الأدني، وقد أخذ الفرنجة بالتوسع علي حساب الإمبراطورية، ويعد أقدم ملوك الغرنجة كلوديون وبعد وفاته خلفه علي العرش ميروفتش Merovech الذي اشتق من أسمه اسم الأسرة الفرنجية التي حكمت غالبية حتي سنة٧٥١م وهي الاسرة الميروفنجية.أنظر، اينهارد: سيرة شارلمان،ترجمة عادل زيتون(دمشق،١٩٨٨)ص١٠

(٢) Bouchard (C.): The Cartulary of St. Marcel-les Chalon., Cambridge, 1998) P.1.

(٣) Brown:The Rise of Western Christendom.,P.223,,Deanesly:" Medieval Schools to C. 1300" In Cam. Med.Hist..,Vol.5,P.765,772, Ullmann(w): The Carolingian Renaissance and the Idea of Kingship., P.14

خصصت للذين بلغوا سن الرشد،إلي جانب العلوم التي يتلقاها بالدير، كان يرسل الراهب من دير لآخر ليزيد من حصيلة تعليمة، وقد قدمت هذه المدارس أعظم الخدمات التعليمية للمجتمع، حيث دعم الرهبان العلم والتواصل بين صغار وكبار رجال الدين لتلقي العلم. (١)

وعلي أية حال ، يمكن القول أن الحركة الثقافية والحضارية بلغت ذروتها في القرن الثامن الميلادي، علي يد الراهب بيده(٢) (٦٧٥-٧٣٥م) ذلك العالم والأديب الذي يعد نشاطه الأدبي بداية عهد جديد للأدب اللاتيني في غرب أوربا ،(٣) وبعد وفاته بقليل ولد ألكوين(٤) (٧٣٥-٨٠٤م) والذي يعد حلقة الوصل بين النشاط العلمي في بريطانيا وغالة، وهو الذي استعان به شارلمان فيما عرف بالنهضة الكارولنجية. (٥) وهكذا يتضح لنا من هذا العرض السريع أن ركب الحضارة الأوربية لم يتوقف في العصور

---

(١) Deanesly(M.):" Medieval Schools to C. 1300" In Cam. Med.Hist..,Vol.5,P.,772

(٢) بيده هو أحد كبار علماء القرن الثامن الميلادي،في ايرلندا وانجلترا وهو العالم والأديب والمؤرخ دون منازع لتفوقه في كل فروع العلم ، ويعتبر نشاطه الأدبي بداية عهد جديد اتخذ فيه الأدب اللاتيني شكله الذي تميز به خلال فترة العصور الوسطي. أنظر، موس: ميلاد العصور الوسطي،ص٢٩١ ، سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٣٤

(٣) Wallace-Hadrill: Bede is Ecclesiastical History of the English People, (Oxforde,1988)P.167

(٤) ولد الكوين في يورك سنة ٧٣٥م أي في الفترة التي كانت النهضة الفكرية تمتد من أيرلندا إلي إنجلترا لا تزال مضيئة، وساعد علي استمرارها عدم وصول غزوات مخربة من جانب البرابرة عقب البعثات التبشيرية إليها وانتشارها المسيحية بها، وإذا كان السكسون قد غزوا إنجلترا فإن ذلك كان قبل وصول بعثات البابا جريجوري العظيم إلي تلك البلاد، ومن ثم استطاعت الأديرة والمدارس مباشرة مهامها الحضارية والثقافية في جو من الاستقرار لم ينته إلا عندما بدأت غزوات الفيكنج الشماليين.وفي هذا الجو نشأ ألكوين وتعلم في مدارس يورك التي امتلأت بمختلف المؤلفات القديمة ذات الشهرة العظيمة منها في النحو والبلاغة والقانون والفلك والرياضيات، ومات سنة٨٠٤م أنظر: Litt.:"Learning and literature till Pope Sylvester II" In Cam. Med. Hist.,Vol III,P.514 ، اينهارد: سيرة شارلمان،ص١٣٥ هامش ٢

(٥) Deanesly(H): " Medieval Schools" In Cam Med Hist.(Cambridge,1964), Vol.5,P.772

الوسطي، وأن مصباح المعرفة لم تنطفئ شعلته عقب سقوط الإمبراطورية الغربية سنة ٤٧٦م ، وإنما ظل مضيئاً ينتقل من بلد إلي آخر حتى اشتد بريقه وضياؤه في أواخر القرن الثامن في غالة في عهد شارلمان،[١]

شارلمان (٧٦٨-٨١٤م)

اعتلي شارلمان عرش مملكة الفرنجة شريكاً لأخيه كارلومان عام ٧٦٨م، ثم انفرد بالعرش عام ٧٧١م حتى وفاة الأخيرعام٨١٤م،[٢] فقد خاض شارلمان العديد من الحروب خلال فترة حكمه التي استمرت سبعاً وأربعين سنة، والتي أعد لها بمهارة فائقة وأنجزها بنجاح كبير، واستطاع أن يوسع حدود مملكته الفرنجية أكثر من ضعف مساحتها،[٣] فقد تمكن شارلمان من العمل علي ترسيخ السلام في مجتمعه مراعياً الشخصية المسيحية وملامحها، رغم أن هذه كانت مهمة شاقة نظراً لأن مملكته ضمت عناصر مختلفة وأجناساً عده ذات أهواء متباينة ، لكنه في النهاية تمكن من إخضاعهم جميعا تحت سماء المملكة الكارولنجية، باعتبار أن النهضة الاجتماعية هي التي أنتجت النهضة الأدبية،[٤] فيمكن القول أنه لولا شارلمان لتأخر نمو وتطور الحضارة الأوربية،[٥] والحق أن الكنيسة الكاثوليكية لم تبالغ عندما سجلت اسم شارلمان ضمن أولئك الذين أسسوا مدينة الله علي الأرض،[٦] ولم تخطيء الأقاصيص الشعبية عندما صورت شارلمان في صورة الصليبي الأول الذي رسم سياسة الحروب الدينية في العصور الوسطي، وجعل من البلاد المسيحية معسكراً مسلحاً يذود عن الكنيسة

---

(١) Ibid,PP.772-73

(٢)إينهارد:سيرة شارلمان ،ص٥٥حاشيه٢

(٣)إينهارد:المصدر السابق ،ص٩٦.

(٤) Ullmann:The Carolingian Renaissance and the Idea of Kingship.,P.14,29-30

(٥) Rashdall: The Universities of Europe.,P.28

(٦) Wood (S): The Proprietary Church in the Medieval West,(Oxford,2006).,P.216

وإغراضها.فقد رأي شارلمان ببصره الثاقب أن مملكته ليس فقط تحتاج إلي جسد كهنوتي، ولكنها تحتاج إلي تعليم وتدريب. [١] وقد شبه البعض عاصمته آخن[٢] بالقسطنطينية الجديدة ، وشارلمان بقسطنطين العظيم، وهو تشبيه ديني بحت اعتمد عليه شارلمان أيضا في نهضته،[٣]

واصل حكم شارلمان تألقه بما كسبه من ود الكثير من الملوك والأمم، وكسب بسخائه المعرف صداقة ملوك اسكتلندا الذين أولوا رغباته اهتماماً واحتراماً بالغين، كما كانت علاقته ودية مع الخليفة العباسي المسلم هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ(٧٨٦-٨٠٩م) ومبنية علي الاحترام المتبادل، وكانت علاقته أيضا طيبة بأباطرة بيزنطة. [٤] أما عن شخصيته وصفاته فقد تميز شارلمان بسرعة البديهة وطلاقة الحديث وفصاحة اللسان، والقدرة علي التعبير بوضوح تام عما يريده من قول، كما أنه اهتم بدراسة اللغات الأجنبية الأخرى، فقد أتقن اللاتينية، وتحدث بها كما لغته القومية، إلا أن فهمه لليونانية كان يفوق قدرته علي التحدث بها،[٥] وقد بلغ من شدة شغف شارلمان وحبه للعلوم أنه كان يستمع أثناء تناوله الطعام إلي شيء من الشعر والموسيقي، كما كان مولعاً بكتب القديس أوغسطين ولاسيما كتابه مدينة الله The City of God. [٦]، وقد ذكر المعاصرون له أمثال بولس

---

(١) Ullmann:Op.Cit.,P.3

(٢) هي مدينة أكس لاشابل العاصمة التي أتخذها شارلمان لإمبراطوريته بدلاً من باريس،توجد الأن في ألمانيا وتقع علي بعد ٦٤كم إلي الجنوب الغربي من مدينة كولن قرب الحدود البلجيكية الألمانية، أنظر إينهارد: سيرة شارلمان، ص١١٠هامش١

(٣) Ullmann:Op.Cit.,P44

(٤) إينهارد: سيرة شارلمان،ص١٠٣-١٠٨

(٥) إينهارد: سيرة شارلمان ،ص١٣٤

(٦) إينهارد: المصدر السابق ،ص١٣١

الشماس وإينهارد أنه تعلم بشغف شديد وبنجاح الفنون الحرة ، كما قال عنه ألكوين " أنه بعمله يرتفع فوق كل ملوك الفرنجة ."[١]

الأديرة والتعليم في عصر شارلمان(النهضة الأدبية):

كان من أولي اهتمامات شارلمان عندما تولي الحكم هي الأديرة وغيرها من المؤسسات الدينية القائمة بشئون التعليم، فالمعروف أن الأديرة كان تضم بداخلها مدارس تعليمية هدفها الرئيسي هو التعليم من أجل خدمة أغراض الكنيسة والدين، كما كان يوجد بكل دير مكتبة وعدد من النساخ ومدرسة لتعليم الصغار تعليماً دينياً بحتاً، مرتبطاً بالثقافة اللاتينية،[٢] وقد انتشرت هذه المدارس في طول البلاد وعرضها، لتعليم الصغار بعض المعارف الدينية للذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا قساوسة يعملون في سلك الكهنوت ، كما كان تعليم الصغار في المدارس الدينية مجاناً، بحيث لا يؤخذ منهم أجراً سوي ما يتبرع به الخيرون من الأهالي القادرين،[٣] وإلي جانب هذا النوع من المدارس الأولية وجدت مدارس عليا فتحت أبوابها للراغبين من رجال الدين في إتمام تعليمهم، ورفع المستوي العلمي لرجال الدين، وتوفير طبقة من المثقفين لإدارة شئون البلاد، بعد أن اتسعت مملكته.وهكذا سمعنا عن بعض المدارس الديرية الشهيرة مثل تورTours وفولدا[٤]Fulda وسانت جال St. Gall وريشنوReichenau ولورخ Lorsch وفليري Fleury وسانت ركوبير

---

(١) Kleinclausz(A): Charlemagne,(France,2005) ,P.112-113

(2) Deanesly:Op.Cit.,Vol.5,P.767 ، جوزيف نسيم يوسف: نشأة الجامعات ،ص٣٩

(٣) Deanesly :Op.Cit., Vol.5,P.774

(٤) دير فولدا Fulda بمنطقة هيس الواقعة علي بعد ٦٠ميل الي الشمال الشرقي من مدينة فرانكفورت الألمانية، وكان هذا الدير هو المركز الرئيسي للتعليم في المملكة الفرنجية.أنظر،اينهارد: سيرة شارلمان،ص١٩

St. Requier، فضلاً عن مدارس الكاتدرائيات الشهيرة مثل ميتز[١] Metz وريمس[٢]Remis وشارتر Chartars وأوكسر Auxerre.[٣] وكان علي هؤلاء الطلاب دراسة اللغة اللاتينية لإجادة القراءة في الكتب المقدسة، والقيام بالوعظ والإرشاد وفهم أسفار الكتاب المقدس ودراسة الموسيقي والألحان الدينية اللازمة لأداء الخدمات والطقوس الشعائرية، وتصحيح ونسخ كثير من المؤلفات الكلاسيكية وغيرها من الكتب الدينية،[٤] ومع هذا فقد استلزم تعليم رجال الدين تعليماً دنيوياً يتخذه أساساً لثقافته الدينية، فكان عليه أن يدرس قواعد الحساب والرياضيات والفلك والهندسة، وقد ساعدت تلك الدراسات فيما بعد علي تطور الفكر البشري وانطلاقه من عقاله وتحرره من القيود التي عاش أسيرها عدة قرون.[٥]

لذلك فقد عمل شارلمان علي رفع المستوي الثقافي للرهبان، ونلمس ذلك من الخطابات التي بعث بها إلي عدد من رؤساء الأديرة والوعاظ وغيرهم من رجال الدين يحثهم علي التزود بالثقافة الأدبية ومواصلة العلم والتعليم إلي جانب الاهتمام بالشئون الدينية والروحية، وحثهم علي العناية

---

(١) ميتس أو ماينز Mayence هي مدينة في جمهورية ألمانيا، تقع علي الضفة اليسري لنهر الراين عند ملتقاه بنهر المين، وقد تأسست هذه المدينة في القرن الأول قبل الميلاد، وكانت مركز تجاري هام في العصور الوسطي. أنظر أينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة عادل زيتون،ص١١١حاشية ١

(٢) ريمس هي مدينة فرنسية تقع علينهر الفسك Vesic علي بعد ١٣٢كم الي الشرق والشمال الشرقي من باريس، وفي كنيستها توج كلوفيس ملكاً علي الفرنجة سنة٤٩٦م، أنظر اينهارد:سيرة شارلمان،ص١٥٦

(٣) سعيد عاشور:الجامعات الأوربية ،ص٥ ،سعيد عاشور:أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٦١، دوسن: تكوين أوربا ،ص٢٧٦

(٤) Deanesly:" Medieval Schools to C. 1300" In Cam. Med.Hist..,Vol.5,P.767
سعيد عاشور: الجامعات الأوربية،ص٦

(٥) Brozn: The Rise of western Christ.,P438، جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق،ص٤٠

بالنطق السليم والكتابة الصحيحة الخالية من الأخطاء، كذلك دعاهم إلي تدريس الفنون الحرة[١] بجميع الكنائس والأديرة، وعمل علي تنقية الكتب المقدسة من الشوائب العالقة بها، وطالب بالإكثار من إنشاء المدارس التابعة للمؤسسات الدينية ، وعلي ضرورة أن تفتح هذه المؤسسات أبوابها لكل راغب في تلقي العلوم بدون استثناء، لا فرق بين غني وفقير أو عبد ونبيل،لذلك كانت للمدارس الكارولنجية أثرها الواضح في تطور الحياة الفكرية في الغرب الأوربي، وفي إحياء اللغة اللاتينية في الحقبة الوسيطة من التاريخ، بعد قرون طويلة توقفت فيها الحركة الفكرية، بعد أن أصابها شلل وقتي نتيجة لظروف معينة. [٢]

وسرعان ما أثمرت جهود شارلمان في هذا السبيل، فقد توالت عليه ردود الأساقفة التي تفيد بوجود العديد من المدارس التي تعلم الأطفال الترانيم والموسيقي الدينية ، كما وجدت مدارس للمنشدين ومدارس للقراء علي جانب كبير من التقدم، كما كتب ثيودلف أسقف أورليان يقول إن في اسقفيته عدة مدارس يقوم الأساقفة فيها بتعليم الأطفال مجانا ولا يؤخذ منهم أي أجر سوي ما يتبرع به الخيرون من أهالي الأطفال القادرين ، ويوصي ثيودولف أيضا الناس أن يرسلوا أبنائهم إلي المدارس، وعدم السماح لهم بالانقطاع عنها إلا بعد أن يتموا تعليمهم، مما يشير إلي أن هذا التعليم أخذ صفة الإجبارية. إلي جانب هذا النوع من المدارس، وجدت مدارس عليا لأولئك الذين يرغبون في إتمام دراستهم.[٣] علي أن رعاية شارلمان للتعليم

---

(١)الفنون الحرة Liberal Arts، هي سبعة وتنقسم إلي مجموعتين (الثلاثية) وتشمل النحو والبلاغة والمنطق أما(الرباعية) فتشمل الحساب والهندسة والفلك والموسيقي: إينهارد: سيرة شارلمان،ص١٢٠

(٢)جوزيف نسيم يوسف :نشأة الجامعات الأوربية في العصور الوسطي،ص٦٥-٦٧

(٣)سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٦٠-٦١

والمتعلمين أخفت وراءها سياسة مرسومة،هي أن يرفع مستوي رجال الدين من جهة ويستفيد من أولئك المتعلمين في إدارة حكومته من جهة أخري. [١]

وعلي أية حال، فالفضل يعود لهذه المدارس في نسخ الكتب الدينية وكتب اللاهوت كما نسخوا كتابات كاسيدور(٤٩٠-٤٨٣م) وبوثيوس Boethius(٤٨٠-٥٢٥م)، وبيده (٦٧٥-٧٣٥)[٢] ، وقد فتح ألكوين الباب وأنار الطريق أمام أولئك الناسخين والناشرين من خريجي المدارس الكارولنجية عندما قام بتحقيق ترجمة الإنجيل إلي اللاتينية بعد مقارنتها وحذف الأخطاء الشائعة بها، وتنفيذاً لرغبة ألكوين وشارلمان زودت أديرة تور Tours وفولدا Fulda وغيرها من الأديرة الرئيسية بجماعة من أمهر الكتبة، حتى جاءت مخطوطات ذلك العصر آية لا نظير لها في الإبداع والإتقان، كما أن كثرة المنسوخات في ذلك العصر أدت إلي وفرة الكتب وتعددها، وبالتالي قلة الأخطاء في النسخ التي نسخت عنها فيما بعد. [٣]

والواقع أن العناية بالكتب والمكتبات تمثل مظهراً مهماً من مظاهر النهضة الكارولنجية، وقد امتلك شارلمان نفسه عدداً ضخماً من الكتب، أوصي ببيعها عند وفاته والإحسان بثمنها إلي الفقراء والمحتاجين، وامتازت الأديرة بمكتباتها الغنية حتى إن مكتبة دير سانت ركوبير St Riquier ضمت أكثر من مائتين وخمسين كتاباً مخطوطاً،[٤] وليس من الضروري أن يكون كل ذلك العدد قام بنسخه الرهبان بالدير، إذ إن جزءًا كبيراً من الكتب التي وجدت بأديرة ذلك العصر جاءت إليها بطريق الهبات والهدايا. [٥]

---

(١) Rashdall: The Universities of Europe.,Vol.,1,P.29, Davis(H.C): Charlemagne(London1928).,P168

(٢) Davis: Charlemagne.,P168-169

(٣) Brown: The Rise of Western Christendom.,P.196, Davis: Op.Cit.,PP.177-178

(٤) Kleinclausz: Charlemagne,P.34

(٥) The Count de Montalembert:The Monks of the west., P.105 سعيد عاشور: المرجع السابق،ج٢ص٦٠-٦١

كما ساهمت الكاتدرائيات والأديرة والبلاط الإمبراطوري في حركة الإحياء وهي مشاركة تعني أن العلمانيين من أبناء الطبقة الراقية صار بإمكانهم أن يساهموا في الحركة الأدبية وحركة التأليف، فقد كانت المدارس الديرية والكاتدرائية تقبل الدارسين من خارجها ، فمنذ أن تولي شارلمان وحتى سنة ١١٧٠م، كانت المدارس الأسقفية أهم عنصر من عناصر التعليم، وكانت ذات موضوعات دراسية متعددة ، وفي عام ١١٧٠م انبثقت عنها فيما بعد الجامعات كمراكز لتعليم الفنون الحرة. (١)

النهضة الكارولنجية:

عرفت هذه النهضة بعدة مسميات نذكر منها نهضة القرن التاسع، أو حضارة شارلمان،أو النهضة الكارولنجية، وهي حركة أخلاقية جماعية شملت عددا من العلماء والمساعدين المشغولين في علومهم وخلاياهم ، وهي الحركة التي حفظت عدداً من الأعمال القديمة للأجيال اللاحقة،(٢) وعلي الرغم أن شارلمان كان أمياً، فقد امتلك حماسة شديدة للتعليم ــ ونشره في مملكته ــ ورغبة بداخله جارفة لتعلم القراءة والكتابة،(٣) لذلك فقد تزعم نهضة فكرية عظيمة، شملت الاتجاهات الثقافية والاقتصادية والفنية، وتركزت في فرنسا لتمتد إلي أجزاء مختلفة من الغرب مثل ألمانيا وايطاليا وأسبانيا. (٤)، فقد وجه عناية خاصة إلي الحركة العلمية، وعمل علي إحياء الدراسات الأدبية، واهتم بجمع الكتب القديمة وخاصة مؤلفات اللاتين القدامى في إيطاليا وغيرها من دول الغرب الأوربي(٥)، ولكي يجعل شارلمان هذه نهضة حقيقية استدعي إلي عاصمته اكس لا شابل جمعاً كبيراً من كبار علماء عصره

---

(١) Deanesly.: " Medieval Schools" In Cam Med Hist., Vol.5.P.773

(٢) Ullmann:The Carolingian Renaissance.,P.5

(٣) Kleinclausz: Charlemagne,P.112

(٤) سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٣٧-٣٨

(٥) Ullmann:Op.Cit.,P.15

ومثقفيه من الأدباء والفلاسفة والمفكرين وعلماء اللاهوت وضمهم إلي بلاطه. ومن هؤلاء الشاعر ثيودولف الأسباني Theodolphus ، والنحوي بطرس البيزي Peter of Pisa، المتخصص في النحو وقواعد اللغة اللاتينية، والمؤرخ بولس الشماس اللومباردي Paul the Decon، وباولينوس أوف أكويليا Paulinus of Aquileia ، الذي يعد ثمرة الحضارة اللمبارديه والإيطالية وثيودولف القوطي وغيرهم.(١)

يعود الفضل لشارلمان وأعوانه من رجال الفكر في إحياء نهضة شاملة في غرب أوربا عرفت " بالنهضة الكارولنجية" وهي لم تقتصر علي النواحي السياسية أو الحربية والاقتصادية، بل برزت واضحة في جانبها الثقافي،(٢) فقد شملت العناية بالتعليم والمدارس والمكتبات فضلاً عن تصحيح المخطوطات القديمة، وإحياء الدراسات الدينية والأدبية والفلسفية والتاريخية ،(٣) ذلك أن شارلمان هو المصلح المستنير الذي عمل علي تعميم المدارس في جميع الأديرة والكاتدرائيات الخاضعة لنفوذه حتى يتعلم الأحداث في تلك المدارس الترانيم والموسيقي الدينية فضلاً عن مبادئ الحساب وقراءة اللاتينية وكتابتها (٤)، وأصبحت دراسة الآداب تعد تمهيداً لغاية أعلي منها،وهي فهم أصول الدين المسيحي. (٥)

ولا ريب أن للتأثير الشخصي لشارلمان هو الذي جعل لهذه الحركة العلمية ميداناً واسعاً، وليس أوضح برهاناً علي تلك العظمة الحقيقية في أخلاق شارلمان من الحماسة في ميدان إحياء العلم ورفع مستوي التعليم في إمبراطوريته، ووجدت النهضة الكارولنجية في العلوم والفنون مركزها

---

(١) Deanesly: Op.Cit. Vol.5,P.772

(٢) Davis: Charlemagne.,P.139

(٣) Ullmann:Op.cit.,P.4

(٤) سعيد عاشور: الجامعات الأوربية في العصور الوسطي،ص٤-٥

(٥) موس: ميلاد العصورالوسطي، ص٣٦٦

بمدرسة القصر الإمبراطوري بآخن العاصمة التي اتخذت لقب" القسطنطينية الجديدة "،[١] بل وامتدت إلي باقي أراضي الإمبراطورية.[٢] كما يعود الفضل أيضا في هذه النهضة للجهود التي قامت بها الأديرة سواء من الناحية الثقافية، أو من ناحية جمع التراث الكلاسيكي والمخطوطات المتعلقة بالثقافة المسيحية،[٣] أي أن هذه النهضة كانت مرتبطة بنهضة أخري تعتبر مدي لها وأساس في نفس الوقت، وهو المجال الديني أي نواة لحضارة مسيحية جديدة.[٤] وقد رأينا أن شارلمان جمع حوله عددًا من الأدباء والمؤرخين والشعراء، مما وفر للنهضة عاملاً أساسيا من عوامل الازدهار، كما عالجت مختلف دروب المعرفة التي عرفت في ذلك العصر، كما اكسبها طابعاً دينياً نظراً للعلاقة التي ربطت شارلمان والكنيسة الغربية، التي أملت عليه سياسته واتجاهاته، لذلك كانت الصدارة في الجانب الأدبي للأدب الديني، ثم جاء التاريخ ليحتل المكانة الثانية في آداب النهضة الكارولنجية.[٥]

وعلي أية حال، فقد مرت النهضة الكارولنجية بثلاث مراحل أساسية، المرحلة الأولي وتبدأ من سنة ٧٧٣م حتى سنة ٧٨٦م، وفيها كان النفوذ لرؤساء الأديرة والرهبان،[٦] حيث ظلت معظم آثار الحياة الثقافية حية وإن أمست في حالة ركود، وما قام به بولس الشماس من أعمال بناءً علي تكليف من شارلمان الذي رأي أن يستخدم بولس في أغراض تعليمية، وفي جميع التراتيل والنصوص الدينية لاستخدامها في الكنيسة، ومن المعروف أن

---

(١) Ullmann:Op.Cit.,P.44

(٢) Deanesly: " Medieval Schools" In Cam Med Hist., Vol.5,P.772 جوزيف نسيم: المرجع السابق،ص٦٠

(٣)محمودسعيد عمران: حضارة أوربا في العصور الوسطي،ص٢٤

(٤) Brown:Op.Cit.,P.438 . Ullmann: The Carolingian Renaissance.,P.44

(٥) Ullmann:Op.Cit.,P.4

(٦)سعيد عاشور: المرجع السابق،ص٣٩-٤٠

شارلمان كان يقدر بولس الشماس وبطرس البيزي لكفاءتهما في تدريس القواعد النحوية اللاتينية، وقد قاما بأداء واجبهما، وتمكنوا من إعادة صياغة النصوص الدينية بشكل فائق.[١]

أما المرحلة الثانية من مراحل النهضة فكانت من سنة ٧٨٦ حتى سنة ٨٠٠م، ويمكن تسميتها "عصر شارلمان" وفيها بلغت النهضة الكارولنجية ذروتها والتي تتمثل في شخصية ألكوين الذي فاق كل أقرانه ويعتبر بحق مرآة صادقة لتلك النهضة،[٢] فقد استدعي شارلمان ألكوين وعينه مستشاراً له في معظم شئونه، إلي جانب أشرافه التام علي شئون الثقافة في المملكة، حتى وفاته سنة ٨٠٤م، أما شهرة ألكوين فتعود إلي شخصيته الجذابة وجهوده في تنظيم الثقافة ونشر التعليم،[٣] ويكفيه فخراً أنه نقل الحضارة الأيرلندية إلي غالة، حيث تعهدها بجهوده وعنايته، فقد قام بنشاط علمي تمثل في تصحيح المخطوطات القديمة، وإصلاح المدارس الدينية، ونشر التعليم، وقد ساعده في هذا العمل شارلمان نفسه، وذلك بإصداره الأوامر إلي الأساقفة ورؤساء الأديرة والرهبان يوصيهم بضرورة تصحيح الكتب التي أفسدها جهل الناسخين، كما قام ألكوين بمراجعة الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس، وقد انتهي من تلك المراجعة في دير القديس مارتن بمدينة تورTours سنة ٨٠١م،[٤] وقد أهدي نسخة من الإنجيل مصححاً إلي شارلمان، كما أرسل نسخاً منه إلي الكنائس والأديرة، وذلك من أجل نسخ

---

(١) Deanesly: " Medieval Schools" In Cam Med Hist.,Vol.5,P.772.موس: ميلادالعصور الوسطي،ص٣٦٥ Banniard: Genese Culturelle.,P173

(٢) اينهارد: سيرة شارلمان،ص١٣٥

(٣) Rashdall: The Universities of Europe.,Vol.,1,P28

(٤) مدينة تورز مدينة فرنسية تقع علي بعد ٢٠٦ميل جنوب غرب باريس، استولي عليها القوط الغربيون في القرن الخامس، ثم استولي عليها الفرنجة في القرن السادس، ودارت فيها موقعة بلاط الشهداء بين القوات الإسلامية بالأندلس بقيادة عبد الرحمن الغافقي وقوات الفرنجة، وهي من المدن الشهيرة في الغرب الفرنسي.أنظر انهارد: المصدر السابق،ص١٥٧

أعداداً أخري منه لاستعمالها وتوزيعها، ومن الأديرة التي برزت في هذا الميدان دير كوربي ودير ريمس ودير فونتنيل Fontenelle. [١]

أما عن جهود ألكوين في نشر التعليم والإكثار من المدارس الدينية، ورفع مستواها فكانت عظيمة الأثر، فمن الواضح أن الفساد الذي عم الحياة العامة والدينية في ذلك العصر، جاء نتيجة لانتشار الجهل والخرافات،هذا عدا العادات السيئة الأخرى التي سادت المجتمع الغربي،[٢] وكانت مواقف الكنيسة سلبية من تلك الأوضاع؛ لأن نموذج التعليم لرجال الكنيسة أنفسهم في تلك الفترة كان ضيقاً ومحدوداً،[٣] مما جعل مهمة إصلاح المجتمع أكثر صعوبة، وخير دليل علي جهل رجال الدين أن نُسخ الإنجيل المتداولة بين الناس كلها كانت مليئة بالأخطاء والتحريف، حتى أصبح من الصعب العثور علي نسختين متطابقتين قبيل النهضة الكارولنجية؛ لذلك كانت مهمة الإصلاح تبدأ بتعليم القساوسة والرهبان تعليماً يكفل حصولهم علي قدر من الثقافة التي تمكنهم من إصلاح أنفسهم أولاً؛ ثم إصلاح المجتمع الذي يعيشون وسطه بعد ذلك. [٤] ويتضح ذلك في الرسالة التي أرسلها شارلمان إلي رئيس دير فولدا [٥] بوجولف Baugulf سنة ٧٨٧م والتي يقول فيها".. لاحظنا أن الرسائل التي بعث بها إلينا رهبان الأديرة في السنوات الأخيرة ، للتعبير عن ولائهم تتسم بضعف الأسلوب، وكثرة الأخطاء، واستخدام الألفاظ العامية الركيكة، رغم ما تفيض به هذه الرسائل من شعور طيب، ويرجع ذلك إلي

---

(١) Buhrer-Thierry: L`Europe Carolingienne,714-888,P.37. Ullmann:Op.Cit.,P.19 وأنظر:إينهارد: سيرة شارلمان ص١٣٥نهامش١ ، دوسن: تكوين أوربا،ص٢٧٦-٢٧٢.،سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٤٤

(٢) Brown: The rice of Western Christendom.,P.438

(٣) Rashdall:Op.Cit.,Vol.,1,P.27

(٤) سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٤٥

(٥) دير فولدا Fulda بمنطقة هيس الواقعة علي بعد ٦٠ميل الي الشمال الشرقي من مدينة فرانكفورت الألمانية، وكان هذا الدير هو المركز الرئيسي للتعليم في المملكة الفرنجية.أنظر،اينهارد: سيرة شارلمان،ص١٩

نقص التعليم،وضعف المستوي الثقافي لرجال الدين.. لذلك ننصح بأن تهتم جميع الأديرة والأسقفيات في بلادنا بالعلوم والآداب فضلاً عن عنايتها بشئون الدين"،[١] وقد نتج عن هذه السياسة تنظيم التعليم وتقويمه في الأسقفيات والأديرة ، وهكذا أصبحت الأديرة بوجه خاص مركزاً للنشاط العلمي والثقافي في أوربا أكثر من أي وقت مضي ، وقد أدي هذا إضافة إلي جهود ألكوين في العناية بالكتب إلي انتعاش مكتبات الأديرة وتكاثر الكتب بها، مما ظهر أثره واضحاً في الفترة المظلمة، والتي حلت بأوربا ما بين سنتي ٨٥٠حتي ١٠٠٠م عندما ظلت الأديرة تكون المراكز الوحيدة التي يشع منها نور العلم في غرب أوربا.[٢] وخلاصة الأمر، كان ارتقاء مستوي التعليم في ظل الدولة الكارولنجية، يعطي مؤشراً علي التقدم الحضاري في هذه الدولة،وسوف نتحدث عن مؤسسة أخري لعبت دوراً هاماً في الحياة العلمية وهي مدرسة القصر الإمبراطوري.

مدرسة القصر:

أقيمت هذه المدرسة منذ أمد بعيد، حيث كان يقصدها الطامحون من الأسر الكبيرة في العصر الميروفنجي ليتعلموا في بلاط الملوك ما يجب أن يتعلمه الإداريون والحكام، وقد شجع الملوك هذه الفكرة لأن مصالحهم تتطلب أن يكون معاونيهم علي درجة من العلم والمعرفة لضبط شؤون الدولة وتصريف أمورها، وظلت مدرسة القصر منذ ذلك الوقت حتى أيام ألكوين ينقصها النظام والعلم الحقيقي، وهكذا تطلعت آمال شارلمان في ألكوين أن يجعل منها عاملاً فعالاً في حياة الدولة. [٣] وكان ألكوين يقوم بإدارتها والإشراف علي شئونها

([١])إينهارد: سيرة شارلمان ص١٣٥، كرستوفر دوسن: تكوين أوربا،ص٢٧٦-٢٧٧، سعيد عاشور:أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٤٦.

([٢])Clark: The Culture of Medieval English Monasticism.,p.3

سعيد عاشور:المرجع السابق ،ص٤٦-٤٧

([٣])سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٤٧-٤٨

والتدريس فيها، وقدمت خدماتها التعليمية للإمبراطورية،[١] وكان روادها من الأولاد والشباب الذين رغبوا في الالتحاق بها، ولذلك بهدف خلق جيل جديد من الموظفين والأساقفة ورؤساء الأديرة في المملكة،[٢] وهؤلاء جميعا درسوا في هذه المدرسة علوماً كلاسيكية قديمة إضافة للفنون الحرة ويذكر أنه من بين الأمراء الذين تلقوا علومهم في هذه المدرسة المؤرخ إينهارد[٣]Einhard، وهو يعد تحول جديد. كما قام والفريد اليوركي بتدريب وتعليم النبلاء والصغار علي الوظائف الإدارية كموظفين ومديري أملاك. وليس من شك أن مدرسة القصر الكارولنجي كانت المدرسة الأولي التي أعطت التعليم الكلاسيكي إلي جانب التعاليم الدينية المتعارف عليها[٤]، ويذكر أن شارلمان كان يتابع العملية التعليمة بالمدارس، وكان يعاقب الطالب الكسول ، وكان يكافئ المجتهد، كما أنه لم يقصر التعليم علي موظفي القصر، أو الرهبان ولكن جعله لكل الأولاد العلمانيين وخاصة المتفوق منهم.[٥]

ومن الجدير ذكره أن شارلمان كان يجلس إلي جانب صبيان القصر الإمبراطوري ليستزيد من نور العلم، والمعروف عنه أنه لا يعرف الكتابة، ولكنه أراد إن يكون قدوة لرعيته،[٦] وقد تربي في مدرسة القصر الرهبان تربية علميه حسنه، ثم بعث بهم شارلمان إلي الأديرة المنتشرة في أقطار

---

(١) Rashdall:Op.Cit.,Vol.,1,P.28, ,Buhrer-Thierry: L`Europe Carolingienne,714-888,P.37

(٢) Davis: Op.Cit.,P.168

(٣) أينهارد مؤرخ فرنجي ولد عام ٧٧٠م في احدي المقاطعات الشرقية من مملكة الفرنجة، تلقي تعليمة الأول في دير القديس بونيفاس في دير فولدا Fulda وكان هذا الدير هو المركز الرئيسي للتعليم في المملكة، ثم دخل في خدمة شارلمان ولمع نجمه في مدرسة القصر، وربطته علاقة حميمة بشارلمان حتى أصبح سكرتيره الخاص ومستشاراً له، وشارك في صنع القرار بالمملكة الفرنجية وله العديد من المؤلفات أشهرها كتاب سيرة شارلمان.أنظر اينهارد: سيرة شارلمان ص١٩

(٤) Deanesly: Op.Cit., Vol.5,P.773

(٥) Ibid.,P.773

(٦) Ullmann:The Carolingian Renaissance.,P.3

الإمبراطورية ،ليكونوا مناهل للعلم يردها الواردون ويقتبس منها الراغبون،، لذلك أصبحت مدرسة القصر مركزاً لها إلي جانب دير فولدا،[١] وفي مدرسة القصر كان شارلمان وزوجته وأولاده ضمن طلابها، كما انضم إليها الشباب الطامح من أبناء الأسر الكبيرة الذين لجاءوا إلي مدرسة القصر يلتمسون العلم، كما انضم إليهم أيضا الموهوبون من صبيان العامة من الشعب كما شجع شارلمان كافة الطوائف للانضمام لهذه المدرسة،[٢] وكان يناقش الأساتذة ويناقشوه مناقشة علمية، وكان يتلقي العلم علي أيديهم مع أبنائه وأبناء حاشيته، فكان شارلمان يرمي إلي تعليم أبنائه البنين الفنون الحرةLiberal Arts، والتي كانت موضع اهتمامه الشخصي. فقد رعي شارلمان بحماسة الفنون الحرة ، فخص الذين يعلمونها بقدر كبير من الاحترام، وأنعم عليهم بكثير من التقدير،[٣] وكان شارلمان يهدف من وراء هذه المدرسة أن تأخذ الطابع العلمي في تعليمها، وكانت أعمار الصغار فيها متفاوتة، وكانت طرق الدراسة فيها علي شكل حوارات ومناقشات علنية،حول الفضائل والرذائل المقتبسة عن إيسيدور وجريجوري التوري وحنا كاسيان.[٤]

---

(١) كان من أهم ما فعله الكارولنجيون في سنة٧٨٧م أعطاء الأوامر إلي رئيس دير فولدا بأن الأديرة ورجال الدين عليهم الخضوع للقواعد للمواد والعلوم التي يجب تدريسها بالمدارس الديرية، وبخاصة دراسة علم البيان الذي أصبح ضرورياً من أجل الدراسات التي ما زالت تحت الدراسة، وطالبوا الأديرة بأن يجب أن تدرس بالمدارس الديرية القراءة والترانيم الدينية والمدونات والقواعد والإنشاد الديني في جمع الأديرة وكذلك من خلال منازل رجال الدين وفي المدارس الداخلية نجد رجال الدين يدربون الصغار، ورؤساء الأديرة الكبار الأديرة يقومون علي تعليم الرهبان Deanesly: Op.Citt.,P.774.

(٢) محمود سعيد عمران:حضارة أوربا في العصور الوسطي،ص٢٦٦

(٣)إينهارد:سيرة شارلمان،ص١٣٥

(٤)Deanesly : Op.Cit., In Cam Med Hist., Vol.5,P.772-73.

وكان شارلمان نفسه يقضي شطراً كبيراً من الوقت والجهد مع ألكوين في دراسة علم البلاغة والجدل والفلك بصفة خاصة، كما تعلم الحساب ، واعتاد أن يستعمله في حساب حركات الأجرام السماوية بفضول كبير ودقة بالغة، كما حاول شارلمان تعلم الكتابة، واعتاد أن يحتفظ بألواح الكتابة والقراطيس في السرير تحت وسادته وذلك لكي يدرب يده في أوقات الفراغ علي رسم الحروف.[١] وبذلك فقد أصبحت مدرسة القصر في آخن مركزاً لنشاط ثقافي، شهده أفراد الأسرة الملكية وأبناء النبلاء الفرنجة، وكثيراً ما كان تلاميذها يتولون رئاسة الأديرة الكبيرة، التي ما لبثت أن أصبحت مواطن للعلوم والفنون في مناطقها ومراكز تضم المكتبات والمدارس وأساتذة الكورس(مرتلي الكنائس) وصناع الزجاج وناسخي المخطوطات. [٢]

وبالرغم من كل ذلك، لم يكن ألكوين أديباً عبقرياً، بل كان مدرساً ونحوياً بطبعه، وكان منهجه مؤسساً علي المنهج الكلاسيكي القديم المشتمل علي الفنون السبعة الحرة، فقد حرر ألكوين القواعد، وفقاً لتقاليد كاسيدوروس وإيسيدور وبيده، وقد استطاع ألكوين أن يحقق آراءه التعليمية، ويعد كتاب قواعد الكتابة والذي أهداه إلي شارلمان،[٣] وأن يجعل من مدرسة القصر نموذجاً ثقافياً للجزء الأكبر من أوربا الغربية،[٤] وأخيراً وبعد رحلة طويلة من العطاء الكبير قرر ألكوين اعتزال الحياة بمدرسة القصر سنة ٧٩٦م، وقرر اللجوء إلي دير القديس مارتن في تور لتعليم الرهبان الفنون الحرة (Scriptoria) ،[٥] ومن هناك بدأ يكتب رسائله إلي كبار الأمراء ورجال الدين يقدم إليهم النصح والإرشاد سواء في الأمور العلمية والتعليمية وكيفية

---

(١)إينهارد: المصدر السابق،ص١٣٦-١٣٧

(٢)موس: ميلاد العصور الوسطي،ص٣٦٧

(٣)Deanesly: Op.Cit., Vol.5,P.772, Banniard:Genese Culturelle de I`Europe.,P.173

(٤)دوسن: تكوين أوربا،ص٢٧٦-٧٧٢

(٥)Buhrer-Thierry: L`Europe Carolingienne,714-888,P.37

إدارة الأمور الوظيفية، واستخدام القواعد الدينية والتمسك بها، لإعلاء شأن المسيحية. [١] أما مدرسة دير سانت مارتن بمدينة تور التي تولي أمورها ألكوين، فقد أصبحت نموذجاً للمدارس الإقليمية، وذلك نتيجة للجهود التي بذلها ألكوين في الاهتمام بهذا الدير وتدريب وتعليم رهبانه، وتغذية مكتبته بالكتب والمخطوطات والنشاط الثقافي الذي قام به في هذا الدير. [٢] ويذكر أن شارلمان أرسل إليه أكثر من مرة يحاول إغراءه للعودة إلي البلاط، لكن ألكوين لم يتنازل عن رأيه حتى توفي في مايو سنة ٨٠٤م، وحزن عليه شارلمان حزناً بالغاً . [٣]

ومهما يكن من أمر، ينبغي علينا ألا ننسي أثر شارلمان نفسه وجهوده في النهضة بجانب الدور الكبير الذي لعبه كبار العلماء في نشر العلم والثقافة، كما ضرب شارلمان مثلاً طيباً لمعاصريه في استغلال أوقات فراغه استغلالاً نافعاً، وفي تشجيعه لرجال العلم وتكريمهم، وفي مدرسة القصر حرص علي أن يجلس كغيره من الطلاب يستمع للأساتذة، ويتناقش في المسائل العلمية. [٤] هذا إلي جانب استعداده الدائم لتسخير جهوده وتفكيره في الدفاع عن المسيحية وتعاليمها، ويقال أنه ألم باليونانية وتعلم قواعد النحو اللاتيني علي يد بطرس البيزي، وبلغ من شغفه بالفلك أن وجد بين تحفه كرة تمثل الكون مصنوعة من معدن ثمين، كما اهتم بجمع المعلومات عن الأجانب والرحالة عن البلاد البعيدة وعادات أهلها، وكان اهتمامه الأكبر بالتاريخ وشغف به كثيراً ، وجعله يتسلي بالاستماع إلي السير التاريخية

---

(١) Deanesly:Op.Cit.,Vol..5.P. 774، Kleinclausz:Op.Cit.,P.39 ،Brown:Op.Cit.,P.440

(٢) Buhrer-Thierry:Op.Cit,P.37

(٣) سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٥٠-٥١

(٤) Davis:Op.Cit.,P.182

وقت تناول الطعام ، كما جعله يهتم بجمع الأساطير التي تتعلق بتاريخ شعب الفرنجة وأصلهم والتي كانت منتشرة في ذلك الوقت. [١]

دور الرهبان في الكتابة التاريخية :

وقد امتازت الكتابات التاريخية في ذلك العصر بتقدمها وحسن صياغتها مع التعمق والعناية بالأسلوب اللاتيني، وفيما عدا سير القديسين اهتم كتاب العصر الكارولنجي بكتابة الحوليات Annals ولم يقفوا عند حد تدوين الحوليات القصيرة، أو الصغيرة، وإنما دونت حوليات طويلة تحت إشراف رجال البلاط ،وهذه الحوليات الأخيرة التي سميت باسم الحوليات الملكية Annales Royales والتي ظلت تروي تاريخ الكارولنجيين منذ قسم شارل مارتل ــ جد شارلمان ــ سلطانه بين أبنائه حتى سنة ٨٢٩م،[٢] أما ما كتبه المؤرخ الكبير اجنيهارد [٣]عن حياة شارلمان أصبحت مثلاً يحتذي في الكتابات التاريخية، حتى إن ثلاثة من الكتاب ترجموا لحياة لويس التقي(٨١٨-٨٤٠م) ابن شارلمان وخليفته. [٤] وعلي أية حال، فقد احتل التاريخ مكانة مرموقة في النهضة الكارولنجية، إذ انتعشت حركة التدوين التاريخي وتعددت أشكال الكتابات التاريخية وفنونها والتي لعبت الأديرة والرهبان دوراً كبيرا في هذه الكتابات،[٥] بحيث يمكن أن نصنفها علي النحو التالي:

---

(١) Kleinclausz:Op.Cit.,P.107

(٢) Kleinclausz: Charlemagne.,P.27

(٣) أجنيهارد دخل في خدمة شارلمان منذ صباه وانضم لمدرسة القصر، ثم تولي نظارة الأشغال العامة فضلاً عن كونه سكرتيراً خاصاً لشارلمان، ثم تزوج من ابنته الأميرة إما Emma فأحاط بحياة شارلمان علماً، ثم دون كتاباً تاريخياً عن حياة شارلمان، أنظر سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٥٥

(٤) سعيد عاشور: النهضات الأوربية في العصور الوسطي، ص٦٢

(٥) اينهارد: سيرة شارلمان،ص١٦مقدمة المترجم

١- المؤلفات التاريخية:

ومن أمثلة هذه المؤلفات كتاب " تاريخ اللومبارديين" للمؤرخ بولس الشماس[١] والذي يعد من مشاهير الكتاب في المملكة اللومباردية قبل سقوطها علي يد شارلمان. وكتاب " تاريخ الفرنجة" الذي ألفه أحد رهبان دير القديس دينيس بعد عام ٧٢٧م، وهو المصدر الوحيد عن تاريخ الفرنجة في الفترة الممتدة ما بين سنة ٦٥٧-٧٢٧م. [٢] وكتاب " النظام في البلاط الإمبراطوري" للمؤلف أدلهارد Adelhard، وعلي الرغم من أن هذا الكتاب لم يصلنا إلا أن أحد رؤساء أساقفة مدينة ريمس Rheims[٣] في القرن التاسع ويدعي هنكمار Hincmar، احتفظ بالمادة الأساسية للكتاب المفقود في رسالة له لا تزال باقية حتى اليوم،[٤] وثمة اثنين من مؤرخي القرن التاسع كانا من العلمانيين المتخصصين وهما : إينهارد Enhard و نيثهارد Nithard، مما أسبغ علي عملية التدوين التاريخي الكارولنجي صفة الثراء التي اشتهر بها. وقد أمست كتابة اللاتينية وقراءتها احتكاراً علي الرهبان ورجال الكنيسة أثناء القرن التاسع، ذلك لأن العلمانيين فقدوا الرغبة، كما لم يكن لديهم الوقت اللازم للدراسة. [٥] وفي القرن التاسع أيضا ألف أحد أمراء الكارولنجيين ويدعي نيثارد Nithar ، كتاباً تحت اسم " تاريخ الحروب

---

(١) عاش بولس الشماس في الفترة من(٧٢٥-٧٩٧م) لمباردي الأصل، دعاه شارلمان بعد سقوط المملكة اللمباردية ليفيد بعلومه مدرسة القصر وخاصة في علوم التاريخ والنحو، وفي أواخر أيامه توجه بولس الي دير مونت كاسينو، حيث عكف هناك علي تأليف كتاب تاريخ اللمبارديين .أنظر:سعيد عاشور : النهضات الأوربية،ص٤٢-٤٣، محمود الحويري: اللومبارديون في التاريخ والحضارة،ص٢٢٨-٢٢٩

(٢) Kleinclausz:Op.Cit.,P 22

(٣) ريمس هي مدينة فرنسية تقع علينهر الفسك Vesic علي بعد ١٣٢كم الي الشرق والشمال الشرقي من باريس، وفي كنيستها توج كلوفيس ملكاً علي الفرنجة سنة٤٩٦م، أنظر اينهارد:سيرة شارلمان،ص١٥٦

(٤) Kleinclausz:Op.Cit. ,PP.27-28

(٥) سمالي: المؤرخون في العصور الوسطي،ص٦٤

الأهلية " عرض فيه المنازعات والحروب الأهلية التي نشبت بين أبناء الإمبراطور لويس التقي (٨١٤-٨٤٠م) ابن شارلمان. [١]

٢ ـ مشاركة الرهبان في تدوين كتب التراجم:

ازدهرت هذه الكتب في عصر شارلمان، ولاسيما أن مؤرخي العصور الوسطي عرفوا كتابة التراجم موضوعاً من موضوعات التدوين التاريخي من خلال المؤرخ الروماني سيتونيوس Suetonius (٦٩-١٤١م) وهو صاحب كتاب " سير القياصرة الأثني عشر". كما دون الرهبان سير القديسين الأوائل وآباء الكنيسة ومعجزاتهم في وقت مبكر من تاريخ المسيحية، ويعد من أشهر هذه الكتابات ما دونه الراهب جريجوري الذي تولي منصب البابوية فيما بعد عن معجزات القديس بندكت النورسي. ومن كتب التراجم في ذلك العصر كتاب :" أعمال الإمبراطور شارلمان" للمؤلف نوتكر الألكن Notker the Stammer، الذي كان راهبا في دير القديس جال St. Gall. [٢] وتشترك التراجم الملكية في سمة عامة، وهي أنها مؤلفات دعائية، صحيح أن أغراض المؤلفين وأساليبهم كانت تختلف من شخص لآخر بيد أنه كان عليهم جميعا إيجاد القالب الذي يمكن أن تصب فيه الوقائع المختلفة، ذلك أنه كان يجب تقديم صاحب الترجمة للقراء في الصورة التي يريدها له كاتب الترجمة ولنبدأ بالمؤرخ إينهارد الذي يعد كتابه أهم هذه الكتب ليس في عصر شارلمان فحسب وإنما في أوربا العصور الوسطي هو كتاب:" سيرة شارلمان" للمؤرخ الفرنجي أينهارد Einhard. [٣]

---

(١)جوزيف نسيم: الجامعات في العصور الوسطي،ص٧٠-٧١، محمد محمد مرسي الشيخ:دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس
(إسكندرية ،١٩٨١م)،ص٢٤-٢٥

(٢) Kleinclausz: Charlemagne.,P.43

(٣) Kleinclausz:Op.Cit.,P.23 اينهارد: سيرة شارلمان،ص١٧، مقدمة المترجم، سمالي: المؤرخون في العصور الوسطي،ص٦٧

٣- سير القديسين:

لم تُهمل سير القديسين في عصر شارلمان، فلا نكاد نجد في العصر الميروفنجي أسقفاً أو أباً إلا اشتهر بأنه قديس بعد وفاته. وكتابة سير قديس أو سيد كنيسة من الكنائس أو دير من الأديرة، كانت تعد واجباً دينياً وعملاً تقياً، حتى إنه كانت تقرأ صفحات من حياة هذا القديس، أو ذاك أمام الأتقياء والحجاج في يوم عيده، ولكن من المؤكد أن عدداً من سير القديسين من أساقفة وآباء المعروفين في العصر الميروفنجي، قد أُعيد تأليف بعضها وكتابتها من جديد في العصر الكارولنجي لتتفق مع روح العصر الجديد،[١] فليس من شك أن التجديد الثقافي الذي حدث في عهد شارلمان ساعد على إعادة نشر قصص تاريخ القديسين المحليين وبشكل نحوي سليم وأسلوب جيد وتشكيل النصوص بمعايير صحيحة وحسن التعبير، لذلك خرجت هذه القصص بشكل فائق في عصر شارلمان.[٢]

٤- الحوليات التاريخية Annales :

عرف مؤرخو العصور الوسطي التمييز بين الحولية والتاريخ،إذ كانت الحوليات تسجل الأحداث وفقاً لتتابعها الزمني دون أن يهتم جامعوها بأن تتخذ سمة العرض الأدبي الرشيق، في حين كان المؤرخ يولي اهتماما فائقا بالأسلوب دون أن يتقيد بالنظام الحولي الصارم. كتبه هؤلاء الرهبان من كتب الحوليات، التي كتبت باللغة اللاتينية و ضمت بين ثناياها أخبار القرون الواقعة بين غزوات البرابرة للإمبراطورية الرومانية، وقيام الجامعات في القرن الثاني عشر،[٣] ويأتي علي رأس هؤلاء النجباء الذين برزوا في المدارس الديرية المؤرخ الإنجليزي بيده Bede (٦٧٥-٧٣٥م)، وبولس

---

(١) Kleinclausz: Op.Cit.,PP 27-28

(٢) Banniard :Genese Culturelle de I`Europe.,P.174 .

(٣) Rashdall : The Universities of Europe.,Vol..,P.28.

الشماس Paul Decon (٧٣٠-٧٩٩م)،[١] الذي كتب عدة أعمال أدبية وألف نصوصاً تعليمية تم حفظها في مكتبة دير بوبيو الإيطالية Bobbio [٢] ولذلك فقد ظل نظام الحوليات نوعاً من التدوين التاريخي حتى نهاية العصور الوسطي، وقد تطور تطوراً ملحوظاً، ولم تكن تلك الحوليات تتضمن مجرد وقائع وأحداث فحسب، وإنما تضمنت سرداً لأهم أحداث السنوات المتعاقبة كلاً علي حده. وربما يكون العالم الكوين هو الذي نقل تلك الطريقة في التدوين التاريخي من انجلترا إلي غاليا. وقد انقسمت الحوليات التاريخية في عصر شارلمان إلي قسمين، حوليات الأديرة والحوليات الملكية،أما حوليات الأديرة فقد أدرك شارلمان لما لهذه الحوليات من أهمية، فأمر رؤساء الأديرة التي تدخل أديرتهم داخل نطاق إمبراطوريته بإتباع نظام الحوليات التاريخية عند تسجيل الأحداث، وكانت لهذه الحوليات شأن كبير في تدوين كثير من الأحداث التاريخية الهامة،[٣] والتي كان من الجائز ألا تصلنا لولا محافظة تلك الأديرة عليها.

أما الحوليات الملكية، والتي تناولت تاريخ الكارولنجيين، وكتبت تحت إشراف رجال البلاط. ويذكر أن هذه الحوليات وقفت عند سنة ٨٢٩م، وذلك لأن التمزق الذي اعتري إمبراطورية شارلمان قد قطع وانهي هذا العمل. ثم أكملت هذه الحوليات بعد ذلك بفترة بعد أن قسمت الإمبراطورية إلي ما يعرف بألمانيا وفرنسا، ومما لاشك فيه أن حفظ هذه الحوليات قد هيأ مادة غنية للمؤرخين في تلك الفترة الكارولنجية، وما بعدها لإعادة كتابة تاريخ ذلك

---

(١) موس: ميلاد العصور الوسطي،ص٣٣٠، محمود الحويري: اللومبارديون،ص ٢٢٨، جوزيف نسيم يوسف:نشأة الجامعات،ص٥٢

(٢) Bougard (F): Paul Diacre,Histoire des Lombards, (Isbn,1994) P.7,Wallace-Hadrill: Bede.,P.167-168 La Rocca: Italy in the Early Middle Ages.,P.196

(٣) اينهارد:سيرة شارلمان ص١٨ مقدمة المترجم ، سمالي:المؤرخون في العصور الوسطي،ص ٦٢

العصر.[١] فقد وصل إلينا عدد من الحوادث والنوادر التي دارت حول شارلمان وبلاطه، والتي كتبها مؤرخو الأديرة لم تلبث أن عززها مجموعة من الشعراء ، كما كانت الترجمة التي كتبها إينهارد عن حياة شارلمان أثمن هذا كله،[٢] فهي وإن تعرضت لشيء من النقد في تفاصيلها، تدفعنا إلي الاقتناع دون بصحة ما فيها بفضل قوة بيانها في اللاتينية التي هيأت للكاتب أسلوباً مشرقاً اختص به لا يضارعه فيه أحد.[٣]

دور الأديرة في تحسين الخطوط والمخطوطات:

أمتد تأثير النهضة الكارولنجية ليشتمل أيضا حركة تحسين الخطوط، فالمعروف أن الخط اللاتيني كان قد أصابه الفساد كما أصاب اللغة نفسها عقب غزوات البرابرة.[٤] ومع التطور الذي وصلت إليه الحضارة الكارولنيجة في العلوم والآداب يعتبر في الواقع خطوة أولي إلي الأمام، بعد قرون طويلة من الظلام والفوضى.[٥] إن عصر شارلمان يمثل انقلاباً مهما في تاريخ الخط والكتابة في غرب أوربا، فالنهضة العلمية صحبها تطور هام في فن الكتابة ، فظهرت عناية شارلمان بالكتابة في مرسوم سنة ٧٨٩م الخاص بمراجعة الكتب الدينية، والعناية بلغتها وخطها، ولاشك أن هذه المراجعة أثارت نشاطاً كبيراً في مدارس الخط بأديرة فرنسا الرئيسية لاسيما دير تورز حيث عكف ألكوين منذ سنة ٧٩٦م حتى وفاته سنة ٨٠٤م،[٦] بذل شارلمان جهوداً كبيرة حتى يكثر من المخطوطات، عن طريق النسخ واستخدام المتون الصحيحة، ومن بين التعليمات الصادرة لبعض المبعوثين

---

(١) عادل زيتون: مقدمة كتاب سيرة شارلمان ص ١٩

(٢) Kleinclausz: Charlemagne.,P.23

(٣)موس:ميلاد العصور الوسطي، ص٣٦٤

(٤) The Count De Montalembert : TheMonks of the west.,P.103

(٥)جوزيف نسيم: الجامعات،ص٧٢

(٦)سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٧٩

الإمبراطوريين قانون بشأن " النساخ لكيلا يخطئوا في الكتابة" وكثيراً ما كان شارلمان يشكو من الخطأ الذي تسرب إلي متون الصلوات الكنسية، بسبب استعمال مخطوطات محرفة، ويرجع الفضل الأكبر إلي جهوده وجهود ألكوين وذلك في إحلال نوع من الخط محل خطوط العصر الميروفنجي المستديرة صعبة القراءة، ولم يلبث هذا النوع من الخط أن أصبح نموذجاً في جميع أرجاء غرب أوربا، ما عدا أسبانيا وأيرلندا وجنوب لإيطاليا، وهذا النوع الجديد عرف باسم " الخط النسخي الكارولنجي" ويبدو أن ذلك الخط نشأ في دير كوربي في النصف الثاني من القرن الثامن، وبلغ أرقي درجات الإتقان في منسخة دير مدينة تورز، ولا شك أن انتشار هذا الخط يرجع إلي استخدامه علي يد ألكوين وزملائه في كتابة ونسخ كتب الطقوس الدينية الجديد [١] ،كما ويري الباحثون أنه من المبالغة أن ننسب الفضل في هذه الطريقة للكتابة في غالة إلي ألكوين وحده؛ لأنه لم يصل إليها إلا بعد ظهور هذا النوع من الخط ، لكن من الاعتراف بالجميل أن نشير إلي أن أسهم بقسط وافر في تدعيم مدرسة دير تورز والرقي بمستوي الكتابة فيها،[٢] وكذلك وجدت أيضا في غالة سبع مدارس أخري عنيت بتحسين الخط، وهي مدرسة القصر ومدرسة مينز ومدرسة ريمس ومدرسة كوربي ومدرسة فولدا ومدرسة سانت دنيس ومدرسة سانت جول. والملاحظة أن الغالبية العظمي من هذه المدارس كانت ديرية أو كنسية، لذلك وجهت العناية فيها نحو نسخ الكتب الدينية كالإنجيل وسير القديسين. هذا في الوقت الذي دأب فيه ألكوين ــ وسيده شارلمان ــ علي تشجيع الأديرة التي تنتج أجود النسخ خطاً

(١)دوسن:تكوين أوربا،ص٢٧٨-٢٧٩

(٢) سعيد عاشور: النهضات الأوربية في العصور الوسطي،ص٨٠

وأصحها لغة؛ وفي الدير الواحد كان يشجع أدق الرهبان (أحذقهم) في النسخ وحسن الخط بالمكافآت السخية[١]

وننتقل إلي فن عظيم الأهمية والذي قام به النساخ من الرهبان، وهو فن تزيين المخطوطات والكتب ، وذلك برسم الصور والزخارف المتنوعة، باستخدام الأحبار الملونة في الزخرفة، فيذكر أن الأحبار المستخدمة تكونت من اللون الأسود والأصفر والأزرق والأخضر والذهبي والفضي، فكان اللون الأحمر يستخدم في كتابة العناوين، أما اللون الأسود فقد استخدم في كتابة النصوص، أما الألوان الأخرى فكانت لعمل الصور، ومنها رسم الصلبان، أو رسم صور الشهداء والقديسين أو الرسل والملائكة، كما رسموا بعض المناظر الدينية المقتبسة من الكتاب المقدس مثل الجنة والنار، وكثيراً ما كانت تزخرف المخطوطة أو الكتاب برسوم جميلة للطيور والحيوانات الوديعة أو أشكال نباتية أو هندسية،[٢] ولم تقف براعة الرهبان عند الزخرفة علي الكتب المقدسة وكتب القديسين والمخطوطات بل وصلت إلي أبعد من ذلك حيث ظهر هذا الفن أيضا (أي الرسم والنقش) علي الأيقونات المصنوعة من الخشب، أو المعادن، وكذلك المصوغات الذهبية والفضية بأشكال رائعة، والتي تبدو في معظمها علي النمط البيزنطي الرائع. [٣]

ويحق للنهضة الكارولنجية في القرن الثامن أن تعد طليعة طيبة للنهضة الأوربية الحديثة في القرن الخامس عشر الميلادي، فهي أثرت تأثيراً مباشراً فيما حققته النهضة الأوربية، لأن الخط الذي استخدمه العلماء الإنسانيون في الكتابة في إيطاليا عصر النهضة الأوربية الكبرى، لم يكن سوي إحياء للخط الكارولنجي، وهو الخط الذي صار هكذا أصلاً معاصراً

---

(١) سعيد عاشور : المرجع السابق،ص٤٤، ٨٠

(٢)عمر طوسون: المرجع السابق،ص ٢١٢، رءوف حبيب: المرجع السابق،ص ٥٣

(٣)McKitteric: Op.Cit.,P.197

لحروف الطباعة اللاتينية الحديثة، كما أننا ندين للنساخ الكارولنجيين بحفظ جزء كبير من الأدب اللاتيني، ولا يزال النقد الحديث لمتون المؤلفات الكلاسيكية يعتمد الي حد كبير علي المخطوطات التي وصلتنا من ذلك العصر الكارولنجي. (١)

الشعر في النهضة الكارولنجية ودور الأديرة فيه:

إذا انتقلنا إلي الشعر نجد أنه قد فاق النثر كماً لا كيفاً، ذلك أن الاتجاه السائد كان يميل إلي استخدام الشعر في مختلف شئون الحياة، لذلك كان معظم الأدباء والمعلمين أمثال بولس الشماس وألكوين وثيودولف(٢) ممن يقرضون الشعر. ويذكر عن ألكوين أنه كان من كبار الشعراء، وحظي في البلاط علي لقب الشاعر هوراس Horace ، وكانت أعماله الشعرية ذات أسلوب جيد ونوعية رائعة. (٣)ومن مآثر هذا العصر أنه خلف عدد كبير من القطع الشعرية من أغاني المآثر التي تتناول سير البطولة المعروفة باسم Chansons de Gesta ، وكان الشعراء وطلاب العلم المتجولين الذين عرفوا باسم " تروفير " Trouveres ينشدونها داخل القلاع والأماكن العامة، وتنقسم هذه الأغاني إلي ثلاث مجموعات من القطع الشعرية تدور حول بعض الشخصيات التاريخية.المجموعة الأولي تتناول أهم أعمال شارلمان وأهم الأحداث التي تمت في عصره، ومن أهمها أغنية حج شارلمان Pelerinage de Charlemagne ، وأيضا أنشودة رولان،(٤) أما المجموعة

---

(١)دوسن: تكوين أوربا،ص٢٧٩

(٢)هو قوطي الأصل إيطالي المولد،شغل منصب أسقف أورليان في الفترة بين سنتي ٧٨٤،٧٨٦م ، وقد وجه عناية خاصة نحو تنظيم التعليم في أسقفيته، ويعد من أبرز شعراء عصره، وتم عزله من أسقفيته في عهد لويس التقي أبن شارلمان سنة ٨١٧م. أنظر سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطي،ج٢،ص٥٧-٥٨

(٣)Banniard:Genese Culturelle de I`Europe.,P.175

(٤)تدور أحداثها الأصلية عصر شارلمان ورجاله وعلي رأسهم رولان في حروبهم ضد المسلمين في أسبانيا بكثير من المبالغة، ولكنها تحولت زمن الحروب الصليبية إلي أسطورة شعبية لعب فيها الخيال دوراً كبيرا بحيث أصبح هدفها إثارة روح = الحرب والقتال لدي أهالي الغرب اللاتيني وإيقاظ النعرة الدينية بينهم للاشتراك في تلك الحروب التي تعرض لها الشرق الإسلامي، انظر، Buhrer-Thierry: L`Europe Carolingienne.,P.34)

الثانية فتتناول عصر جوليوم دورانج Guillaume d`Orange،[١] أما المجموعة الثالثة فتدور حول عصر رينوه دي منتوبان Renaud de Montauban، وقد امتازت هذه الملاحم بأهميتها الفائقة لكل من المؤرخ والأديب واللغوي، فقد انعكست فيها صورة حية للمجتمع الغربي الإقطاعي،وكذلك الحياة الدينية والفكرية فضلاً عن النواحي الإدارية والعسكرية ، وكان شارلمان هو الشخصية الرئيسية التي اتخذتها تلك الملاحم موضوعاً لها. وتعتبر أنشودة رولان من أهم الملاحم الشعرية التي عرفتها العصور الوسطي،[٢] وكذلك قصيدة حج شارلمان للأراضي المقدسة وغيرها من الأغاني والأناشيد التي كان هدفها حث الناس في الغرب علي المشاركة في الحروب الصليبية وتشجيعهم علي زيارة الأماكن المقدسة بفلسطين أو روما. [٣] ويبدو أن جانبا كبيرًا من هذا التراث كتبه رجال الدين ورهبان الأديرة، وقد استغلته الكنيسة اللاتينية الكاثوليكية كنوع من أنواع الدعاية الدينية في ذلك الزمن السحيق الذي كانت فيه العقيدة تسبق العقل والإيمان يتقدم علي الفكر ، والذي كانت فيه لكنيسة روما سطوتها وهيبتها وقدسيتها، وقد اتخذت هذه الأشعار شكل الملاحم الغنائية الأمر الذي ساعد علي سرعة انتشارها وذيوعها بين الناس. [٤]

وكان يغلب علي الشعر الكارولنجي الطابع الديني؛ لأن معظم ناظميه كانوا من الرهبان ورجال الدين كما ذكرنا، كما استوحيت قصائدهم من شعراء المسيحية الأوائل أمثال برودنتيوس وفورتوناثوس ومن أبرز شعراء العصر الكارولنجي هو الراهب والفريد سترابو Walafrid Strabo(٨٠٩-٨٤٩) والراهب الأيرلندي سيدوليوس سكونوس Sedulius Scottus(٨٤٨-

---

(١)جوزيف نسيم:المرجع السابق،ص٧٣

(٢) Buhrer-Thierry: L`Europe Carolingienne.,P.34

(٣) جوزيف نسيم يوسف: الجامعات،ص٧٤

(٤) سعيد عاشور:أوربا العصور الوسطي،ج١،ص٢٠٢

٨٧٤م)، وكان والفريد راهبا في دير ريخناو Reichenau، وله كذلك أشعار تدور حول الحكمة وقصائد غنائية ورسائل دينية وهي تتألف من سلسلة مقاطع شعرية سداسية الوزن يصف فيها نباتات حديقة الدير. [١] أما الشاعر الثاني فهو شاعر لاتيني، كان عالماً ايرلنديا متجولاً استقر به المقام في مدينة ليبج بفرنسا، وألف مجموعة من الأغاني امتازت بدقة نظمها. وبالرغم من وفرة الشعر الكارولنجي إلا أنه يؤخذ عليه أن الطابع الديني هو الغالب عليه ، لأن معظم الشعراء كانوا من رجال الكنيسة، كما أن شعراء العصر الكارولنجي استمدوا الإلهام من شعراء المسيحية الأوائل مثل برودنت Prudentius وفورتنات Fortunat، [٢] ويؤخذ عليه أيضا أنه لم يتعرض للحياة العامة وحياة الشعب وآلامه وعقائده، وهذا يعود إلي الأساس الاقتصادي والشكل الاجتماعي والسياسي للغرب الأوربي وقتذاك. فقد كان الإقطاع وفي ظل هذا المجتمع تسود فيه السلطة للقوي صاحب الأرض ومن عليها وكان الإنتاج الأدبي والشعر خاصة يدور في فلك تمجيد هؤلاء السادة الإقطاعيين سواء من رجال الدنيا أو رجال الدين. [٣]

دور الأديرة في العمارة والفنون:

لعب الرهبان دوراً كبيراً في تطور الفنون والعمارة في الغرب الأوربي، وذلك عن طريق رحلاتهم التبشيرية في كل من روما وغاليا وأماكن أخري، وكانوا يعودون ومعهم الكثير من الصناع المهرة والمهندسين المعماريين والموسيقيين الكنسيين، وأعداد من الكتب والصور والملابس وأنواع من الأقمشة، مما ساعد علي أن تكون أديرتهم مركزاً للثقافة

---

(١) جوزيف نسيم: الجامعات في العصور الوسطي،ص٧٥،دوسن:تكوين أوربا،ص٢٨١

(٢) سعيد عاشور:النهضات الأوربية،ص٦٢-٦٣

(٣) Reynolds S.: Fiefs and Vassals. .,(New York,1994) ,P.155

،جوزيف نسيم : المرجع السابق،ص٧٦

الجديدة،[١] فقد كان المثالون والمعماريون في إيطاليا وجنوب فرنسا مصدراً للإلهام،لذلك فإن النقوش الموجودة علي جدران العديد من الأديرة، مثل أديرة سبوليتو Spoleto، وبنفينتو Benevento ، تظهر فنون وعمارة الطبقة الحاكمة في ايطاليا في القرنيين السابع والثامن.[٢] كما تأثرت الفنون الغربية بالفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى وأسبانيا، فقد دفعت سيلاً من اللاجئين الغربيين إلي الغرب الأوربي، نقلوا معهم العديد من الفنون، ويذكر أن الراهب بندكت البسكوبي أنشاء مدرسة للنحت والزخرفة في ايطاليا، وهي مدرسة شرقية خالصة؛ لأنها اعتمدت في فنونها علي الوحدة الفنية السورية، المكونة من أوراق الكروم المتعانقة،أو علي أشكال طيور أو حيوانات، وقد نقشت هذه الرسوم علي العديد من المخطوطات الغربية النادرة.[٣]

عرف عن شارلمان كرمه وسخاؤه وفي نفس الوقت حرصه الشديد للمحافظة علي أموال وكنوز الأديرة والكنائس، الأمر الذي مكن له في قلوب الرعية،[٤] لذلك فقد قام شارلمان بأعمال كثيرة ترمي إلي بناء مملكته وتزينها، وتمكن من إنجاز عدد كبير من هذه الأعمال، فتمكن من تشييد كاتدرائية مريم العذراء في العاصمة أكس لشابل، مستخدماً أعجب الأساليب المعمارية،[٥] كما أقام شارلمان جسراً علي نهر الراين عند مدينة مينتز Mayence، غير أن النيران التهمته قبل عام واحد من وفاته، كما قام شارلمان ببناء قصرين يعدان أروع ما صنعته مهارة الإنسان في العصور الوسطي ، أحدهما بالقرب

---

(١)دوسن: تكوين أوربا،ص٢٥٣، هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى،ج١،ص١١٢، موس: ميلاد العصور الوسطي، ص٤١٠

(٢) La Rocca: Op.Cit.,P.197, McKitteric: The Early Middle Ages Europe.,P.197.

(٣)دوسن: تكوين أوربا،ص٢٥٣ ، كانتور:المرجع السابق،ق١،ص٢٢٦،٢٢٥، ٢٢٠ ،عمر طوسون: وادي النطرون ورهبانه وأديرته،ص٢١٢، محمود سعيد عمران: المرجع السابق،ص ٢٩

(٤) Reynolds S.: Fiefs and Vassals.,P.89

(٥) Kleinclausz: Charlemagne.,P.18

من مزرعته ويدعي أنجلهيم Ingelheim وهو لا يبعد كثير عن مدينة مينتز ،[١] أما الثاني فكان عند مدينة نيمجين Nimeguen، وفي كنيسة العاصمة آخن بالذات كست الفسيفساء قبة الكنيسة ومن الداخل، وجعلت علي هيئة مناظر تمثل السيد المسيح يصلي، وأمام قدميه اثنا عشر شيخاً ويحرسه اثنان من الملائكة. [٢]

ومن الفنون أيضا التصوير والزخرفة البراقة، وقد انتشرت مدارس التصوير في العديد من المدن خاصة في تور , Tour وكوربي Corbie ومتز Metz، وقد تأثرت هذه المدارس بالفنون الأنجلو أيرلندية والشرقية والكلاسيكية، ولكن ميلها إلي الكلاسيكية كان أكثر من الفنون الأخرى، ويتضح ذلك في تعاملها مع الجسم الآدمي واستخدام شكل ورقة الأكنث Acanthe في الزخرفة، ويتضح التأثير الكلاسيكي بجلاء في مخطوطات مدرسة القصر الإمبراطوري مثل أناجيل فينا الشهيرة التي لا زالت المدينة تحتفظ بها حتى الآن،[٣] وهي الأناجيل التي كان الأباطرة الألمان يقسمون عليها عند تتويجهم، وربما كان هذا التأثير من الإمبراطورية البيزنطية ومن إيطاليا وقام بنقله بعض الكتاب والنساخ من جنوب أيطاليا.[٤]

كما بلغ فن الزخرفة في العصر الكارولنجي درجة فائقة في الروعة والجمال، سواء في زخرفة الكنائس والأديرة أم المباني والقصور، وكانت الزخارف المجسمة البارزة علي الحوائط تصنع عادة من الجبس، كما أخذ استعمال الفسيفساء عن البيزنطيين، كما أوصي رجال الكنيسة والرهبان

---

(١)إينهارد: المصدر السابق، ص١١٠-١١١

(٢)Kleinclausz: Charlemagne.,PP.18,98، سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٨٥ ، موس: ميلاد العصور الوسطي ، ص٣٦٩

(٣)سعيد عاشور: المرجع السابق،ص٨٥-٨٦، محمود سعيد عمران: المرجع السابق،ص٢٨

(٤)دوسن: تكوين أوربا، ٢٨٠-٢٨١، محمود سعيد عمران:حضارة أوربا غي العصور الوسطي،ص٢٨-٢٩

بزخرفة الحوائط والأسقف، كما سُمح بزخرفة الكتب المقدسة، ولذلك تعددت النقوش والرسومات الرائعة التي تزينت بها جدران الأديرة والكنائس والقصور في هذا العصر، وبخاصة قاعة الطعام كما في دير القديس سانت واندريل St. Wandrille ، وكانت معظم الرسومات التي زينت كنائس هذا العصر مستمدة من موضوعات دينية تمثل حياة السيد المسيح وخلق الدنيا فضلاً عن صور القديسين والشهداء. (١) وقد جرت العادة أن يزين صدر الكنيسة بالفسفساء بينما يزين صحنها بمواد عادية، أما قاعة الصلاة والترتيل فكانت تحلي بالرخام الملون النادر الثمين، وفي كنيسة أكس لاشابل. (٢)

كذلك يتضح أثر العامل الديني على الفن الكارولنجي في الصناعات الدقيقة من العاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة والتي بقيت منها نماذج فريدة معظمها يحاكي الصور المسيحية القديمة في إيطاليا والدولة البيزنطية، وكانت كل كنيسة ودير في ذلك العصر لها كنوزها وتحفها الثمينة التي تعبر عن رقي مستوي الفن الكارولنجي. ويلاحظ أن غرب أوربا في ذلك العصر مثله مثل العالم الإسلامي ساده الرغبة في صنع التماثيل المجسمة للإنسان أو الحيوان مما جعل فن النحت والنقش والزخرفة يتجه وجهة أخري فيظهر في العناية بتحسين الخطوط وزخرفة الكتب. وتضم خزائن الكنائس والأديرة عدداً من الكتب التي نسخت في العصر الكارولنجي والتي تعتبر آية فنية رائعة، إذ أنها مدونة بأحرف ذهبية علي رقائق حمراء داكنة، ومحلاة ببعض الزخارف مما جعلها مثار الإعجاب لوضوح حروفها وجمال منظرها. (٣)

---

(١)سعيد عاشور : النهضات الأوربية في العصور الوسطي، ص ٨٦

(٢) Kleinclausz: Charlemagne.,P.98

(٣)سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٧٩

العمارة الديرية :

أوضحت بعض النصوص التي كشف عنها في بعض الأديرة، استخدام الأحجار بناء الأديرة، كما أعطتنا وصفاً دقيقاً عن التنظيم الداخلي للدير وأقسامه، وما بداخله من عنابر للنوم ومكان لطهي الطعام، وغرفة النسخ، والكنائس الداخلية، وإحاطة كل هذه الأماكن بسور متين من الأحجار، مقاماً عليه عدة أبراج للمراقبة الخارجية.[١] وقد تم العثور علي عدة نصوص معمارية مخطوطة تشتمل علي أشكال عديدة من الفنون المعمارية التي تعود للعهد البندكتي، نسخ العديد منها من نصوص رومانية قديمة علي أيدي رهبان الأديرة، وأصبحت هذه النصوص منهجاً يستخدم من قبل المهندسين والبناءين المحدثين، وهكذا ورث هؤلاء هذا العلم، والذي يتضح فيه فضل الرهبان الذين تمكنوا من حفظه،[٢] كما شمل الملوك والأمراء هذا الفن برعاية خاصة، وذلك لاهتمامهم بشئون آخرتهم ، ورغبة منهم في التصالح مع الله وقديسي السماء، لذلك غطوا مقابرهم بقباب مزينة برسومات جميلة ،وقد استخدم هذا الفن في بناء بعض الأديرة في الغرب الأوربي.[٣]

أما عن عمارة الأديرة فقد ساعد علي عظمة بنائها وحسن هندستها ما تمتعت به المؤسسات الديرية من ثروات طائلة، حتى إن بعض الأديرة مثل ديرفولدا وراتجار أسرفت ببذخ شديد علي مبانيها. وأهم ظاهرة تلاحظ في تصميم الأديرة في العصر الكارولنجي هي ظاهرة الاستجابة لحاجيات أهل الدير وتوفير أسباب الراحة لهم في حياتهم الخاصة والجماعية. ومن أعظم أديرة فرنسا في ذلك العصر دير سانت واندريل St. Wandrille ، وتمتاز كنيسته ببرجها العظيم المكسو بالنحاس المزخرف، كذلك ازدانت قاعة الطعام

---

(١)عمر طوسون : المرجع السابق،ص٧٥

(٢) Bouttier: Monasteres: des Pierres.,PP. 13-15

(٣) Bouttier:Op,Cit.,P.14

وقاعة النوم في هذا الدير بالنوافذ الزجاجية الكبيرة التي يبلغ طول الواحدة منها مائتين وثمان أقدام، وعرضها سبعاً وعشرين قدما. أما دير سانت روكيير، فقد تم بناؤه بين سنتي ٧٩٣ ، ٧٩٨م تحت إشراف إنجلبرت، أمده بالمال اللازم وكذلك بالمهندسين والفنيين، وأرسل يطلب له الرخام والأعمدة من روما. (١)

وكانت معظم الرسومات التي زينت بها الكنائس في ذلك العصر مستمدة من موضوعات دينية تمثل حياة المسيح عليه السلام وخلق الدنيا، فضلاً عن صور القديسين والشهداء. وقد جرت العادة أن يزين صدر الكنيسة بالفسيفساء، بينما يزين صحنها بمواد عادية،(٢) أما قاعة الصلاة والتراتيل فكانت تحلي بالرخام النادر الملون الثمين، وقد روعي بناء سور خارجي ضخم علي شكل مثلث تيمناً بالثالوث المقدس ، وروعي في ذلك السور أن يكون من المناعة والقوة بحيث يستطيع رهبان الدير مباشرة حياتهم الديرية، وهم في أمن تام وطمأنينة كافية. (٣)

دور الأديرة في الإصلاحات الاقتصادية للكارولنجيين:

لاشك أن الرهبان شاركوا بفاعلية في تنمية الموارد الاقتصادية والمتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة، وذلك بمشاركتهم في عمليات الإنتاج سواء في فلاحة الأراضي وتربية الحيوانات ، كما شاركوا في عمليات التصنيع آنذاك، وكذلك عمليات تسويق تلك المنتجات في أسواق الغرب الأوربي، فالرهبان الديريون كانوا من عوامل التقدم والانتعاش الاقتصادي في كافة مجالاته. (٤) ومن المعروف أن الرومان احتقروا العمل اليدوي، وعدوه من اختصاص العبيد. وبانتشار الديرية ونظمها في ايطاليا علي يد القديس

---

(١)سعيد عاشور: المرجع السابق،ص٨٥

(٢)Kleinclausz: Charlemagne.,P.23

(٣)سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٨٥-٨٦

(٤)محمد محمد مرسي الشيخ: المرجع السابق،٢٢٣.

بندكت ، وضع العمل في منزلة العبادة، وجعله جزءًا من حياة ألراهب اليومية، وشارك بنفسه الرهبان في العمل الزراعي وأعمال أخري، لاعتقاده أن "الكسل عدو الروح" ولعل خير ما قاله: " العمل عبادة، وإن الإخوة ينبغي عليهم أن ينشغلوا بالعمل اليدوي في أوقات محددة"،[١] كما أن العديد من كبار مقدمي الأديرة نهجوا نفس مسلك بندكت ، فيذكر أن القديس ثيودلف كان يقود المحراث الثقيل ذا العجلات التي تجرها الثيران، وذلك بالقرب من مدينة ريمس الفرنسية مدة اثنين وعشرين عاماً ،حتى وضع المحراث في الدير بعد وفاته للإكبار والإجلال لهذا الراهب العظيم.[٢] وقد حذا الرهبان حذو رؤسائهم وقاموا بمعاونة المزارعين في استصلاح الأراضي البور وزراعتها، وأن تزيل الغابات، وتجفف المستنقعات، وتقيم مستعمرات زراعية مزدهرة في أماكن كانت من قبل أماكن قاحلة غير صالحة للزراعة ، وتقطيع أشجار الغابات لاستغلالها في الزراعة أيضا، وتنظيف الأراضي من الحشائش، وتجفيف المستنقعات، وكذا إقامة الجسور علي جداول المياه، وشق الطرق والمشاركة في الحصاد وجمع المحاصيل،[٣] وقد شارك أبناء الطبقة العليا في المجتمع رهبان الأديرة ، وامسكوا بالفأس، وعملوا في الحرث والحصاد، لكي يضربوا المثل لغيرهم من أفراد المجتمع علي أهمية العمل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. [٤]

---

(١) Bettenson: Documents of the Christian Church.,P123

(٢) ديورانت: قصة الحضارة،مجلد٧،ج١٤،ص٣٧٤، كانتور: المرجع السابق،ص ٢٦٦

(٣) ديورانت: قصة الحضارة،مجلد٧،ج١٤،ص٣٧٤، فيشر: تاريخ أوربا العصور الوسطي،ج١،ص١١٣- ١١٤، كرستوفر دوسن: تكوين أوربا،ص٢٨٧

(٤) سعيد عاشور: المرجع السابق،ج٢،ص٣٠، نعيم فرح: المرجع السابق،ص٢٥٦

فمن المعروف أن الضياع الصغيرة بدأت تختفي في العصر الكارولنجي عن طريق اندماجها في بعضها البعض،وأصبحت الضياع الكبيرة تحل محل المدن وأصبحت هي محور النشاط الاقتصادي في العصر الكارولنجي،[١] مما جعل ذلك النشاط مرتبطاً بالزراعة وإنتاج الأرض ، وامتازت الضيعات الكبيرة بأنها كانت تكفي نفسها أي عملت بنظام الاكتفاء الذاتي، وأصبح الأهالي عبيداً للأرض ، وصارت العبودية أمراً عادياً، مما جعل الباحثين يرجعون الخيوط الأولي للنظام الإقطاعي إلي عصر الكارولنجيين، [٢] أما شارلمان فكان أكبر ملاك الأراضي في إمبراطوريته، فعني بضياعه عناية فائقة حتى أصبحت تفيض بالخيرات، كما شجع شارلمان كبار الملاك علي الاهتمام بشئون الزراعة، ومعاونة الحكومة في تقوية الجسور الأنهار وغيرها من المشاريع الزراعية النافعة. [٣]

ومن الجدير ذكره في هذا المجال، أن الأديرة والقائمين عليها حظيت برعاية واهتمام الملوك ومنحوها الكثير من الإعفاءات والامتيازات والهبات الكثيرة، لذلك حازت الأديرة علي نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية، حيث يذكر أن أحد الأديرة ويدعي دير فولدا امتلك في القرن الثامن نحو خمسة عشر ألف حقل من الأراضي الخصبة، وكان لدير لورش Lorsch، حوالي تسعمائة ضيعة بألمانيا،[٤] وأصبحت الأديرة من أكبر عوامل التمدين، ومظهر من مظاهر الإنتاج الحضاري والاستقرار السلمي، فقد تحولت الأراضي والمناطق التي نزل فيها الرهبان إلي أكثر بقاع أوربا ازدهارا،[٥] كما أحرز هؤلاء الرهبان من التقدم في مجال الزراعة ما جعلهم من أبرز ملاك

---

(١) Gentili(F):"L`agriculture" In Un Village au temps de Charemagne.P.223,

(٢) Reynolds S.: Fiefs and Vassals.,P.150

(٣) Gentili:"L`agriculture" In Un Village au temps de Charemagne.PP.223-223

(٤) محمود سعيد عمران: المرجع السابق،ص ٣٠

(٥) سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطي،ج٢،ص٣٨-٣٩

الأراضي، وأقدرهم خبرة وكفاية. كما تشهد سجلات الأديرة على كفاءة الرهبان في إدارة الاقتطاعات الزراعية الديرية. (١)

وفي مجال الصناعة، انتعشت الصناعة وبخاصة في الأديرة ومنها دير كوربي، حيث خصصت فيه عدة حجرات للصناعات المختلفة منها حجرة بها ثلاثة من صانعي الأحذية واثنان من السروجية وحجرة أخري بها ستة من الحدادين واثنان من الصائغين، وصانع أسلحة، وآخر يعد الرقاق الجلدية لاستخدامها في الكتابة، وقاعة ثالثة بها بعض النجارين.وهكذا كانت هذه الورش الصغيرة تقام أول الأمر داخل الدير ويقتصر إنتاجها علي سد حاجات رهبانه.لكن الديريين أدركوا عظم المكاسب التي يمكن أن تعود عليهم بالتوسع في الصناعة وبيع الفائض من الإنتاج لعامة الأهالي خارج الأديرة،(٢) ومن أقدم الأمثلة دير سانت ركوبير St. Riquier الذي ذاع صيته في نهاية القرن الثامن وأخذ شهرة واسعة في الصناعات الحديدية، ففي سنة ٨٣١م كان ذلك الدير يضم احدي عشرة وحدة صناعية كل منها به مجموعة من الأفراد المتخصصين في صناعة حرفة معينة، علي أن الصناعة في العصر الكارولنجي لم تظل وقفاً علي الأديرة والديريين وإنما انتشرت في الضياع والقرى.كما اهتموا أيضا ببعض الصناعات اليدوية البسيطة، التي كانت تصنع داخل الأديرة بواسطة الرهبان، وتسويق تلك المنتجات، حتى يتمكنوا من شراء ما يلزم الدير من أطعمة وشراب. و تمثلت هذه الصناعات فيما تجود به البيئة حولهم من مواد خام، فقامت بالدير صناعة السلال والحبال والمقاطف التي تجمع فيها المحاصيل أو الأبسطة والمفروشات والأواني الفخارية والخزفية،(٣) وأيضا الحدادة والنجارة وغيرها، وقد

---

(١) Southern: The making of the middle ages,PP.154، كانتور: المرجع السابق،ق١،ص٢٢٥

(٢) Guadagnin "L`artisant des textiles et du cuir"In Un Village au te;ps de Charlemagne.,P.275

(٣) Ibid

تطورت هذه الصناعات مع التوسع في انتشار الأديرة وزيادة عدد رهبانها، واحتياجات الأديرة إلي زيادة في النفقات. (١)

تركزت الصناعات اليدوية داخل الأديرة، وقد روعي فيها التخصص في النشاط، فقد اشتهرت بعض الأديرة بصناعات مثل دبغ الجلود، والصناعات القائمة علي المنتجات الجلدية ،وخاصة الأحذية والملابس،(٢) كما قامت أيضا الصناعات القائمة علي الأخشاب مثل الأبواب، الشبابيك، المناضد، الكراسي وغيرها من صناعات خشبية، ويذكر أنه في دير كوربي Corbie ،قامت فيه أربعة مصانع (ورش) للصناعات المختلفة ، وفي دير سانت ركوبير قامت حوله مدينة واسعة تصنع فيها السروج والأسلحة والجلود وغيرها من أدوات القتال،(٣) ويذكر أنه في انجلترا كان للرهبان فيها النصيب الأكبر في الاهتمام بصناعة الأصواف التي تركزت في مدينة يوركشير البريطانية، حيث اشتهرت أديرتها بتربية الأغنام والماشية،(٤) كما ازدادت شهرة دير سيتيو في برجنديا، بمزارع الكروم التي قامت عليه صناعة النبيذ، وصناعات متنوعة أخري. (٥)

فلم تكن الأديرة مراكز زراعية وثقافية عظمي فحسب بل كانت مراكز للتجارة أيضا، وبفضل ما تمتعت به من الحصانات استطاعت الأديرة أن تؤسس الأسواق لمنتجاتها ، وأن تسك النقود باسمها ، وأن تبدأ نظاماً للأعمال المصرفية، أي أن الأديرة قامت بوظيفة المصارف والبنوك وشركات التأمين الحديثة لكن في صورة بدائية، حيث صار في استطاعة أصحاب

---

(١) فيلليكس: حياة الشركة الباخومية،ص٢٧٣-٢٧٤ ، جيبون: المرجع السابق،ج٢،ص٢٢١

(٢) Guadagnin(R) "L`artisant des textiles et du cuir"In Un Village au te;ps de Charlemagne.,P.275

(٣) فيلليكس: المرجع السابق،ص٢٧٤، سعيد عاشور: المرجع السابق،ج٢،ص٤٠

(٤) هلستر: تاريخ أوربا العصور الوسطي،ص٢٣١

(٥) نعيم فرج: المرجع السابق،ص٢٥٦

الأراضي أن يقوموا بأعمال ديرية، وأن يتقاضوا مقابل ذلك معاشا من دير من الأديرة، وأن يصبحوا مقيمين دائمين حول ذلك الدير، دون أن يكونوا رهباناً أو ديريين، ودون أن يكونوا خاضعين للحياة الديرية وأحكامها، مقابل وقف أراضيهم علي الدير. (١)

ليس من شك ، في أن الحصانة الدينية التي تمتعت بها الأديرة، وأيضا الإعفاءات من قبل الملوك والأمراء والسادة الإقطاعيين ، مكنت الأديرة من تكوين ثروات مالية ضخمة، استخدمتها في إقراض أصحاب الأراضي الفقراء، كما تمكن الأديرة أيضا أن تسك النقود، وتقيم لنفسها الأسواق، وقامت بأعمال المصارف،(٢) علي أن نشاط الصناعة وكثرة الإنتاج أثار اتجاها نحو التصدير الفائض منه إلي الجهات المختلفة، مما أدي بدوره إلي نشاط تجاري في العصر الكارولنجي، وقد قام شارلمان بعدة إجراءات سهلت الحياة الاقتصادية ونشطت التجارة، فقد نظم الموازين والمقاييس ، حتى حظيت الدولة بنظام موحد للوزن والقياس ، كذلك نظمت النقود والعملة المتداولة ، كما أصدر شارلمان قراراً بتحريم الربا وتحديد أسعار المنتجات مما يثبت أنه تأثر في آرائه الاقتصادية بتعاليم الكنيسة. (٣)

كما اهتم شارلمان بالعناية بالطرق التجارية والمحافظة علي سلامتها وتوفير الأمن لمسالكها، وكلها أمور اهتم بها شارلمان ولم تصرفه مشاغله الكثيرة عنها ، الأمر الذي أدي إلي استقرار الأمن وبالتالي تشجيع التجارة والأسفار، كما قامت الأسواق العامة Mercata Publica بجوار المدن والأديرة والضياع، كما قامت المزارات المهمة وأضرحة القديسين حيث كان النشاط الاقتصادي يدب في أعيادهم، وأشهر هذه الأسواق سوق سانت دنيس(٤) St.

---

(١) دوسن: تكوين أوربا،ص٢٨٨

(٢) هلستر: المرجع السابق،ص٢٣١-٢٣٢، محمود سعيد عمران: المرجع السابق،ص ٣١

(٣) سعيد عاشور: النهضات الأوربية في العصور الوسطي،ص٧٤

(٤) Guadagnin"Le Commerce" In Un Village au te;ps de Charlemagne.,P.305

Danis وهو في نمو مستمر بفضل قربه من باريس حتى أصبح يعرف بسوق الشعب وصار يقصده التجار من العديد من البلاد.[١] فلقد اتسعت العلاقات التجارية بين مملكة الفرنجة وبريطانيا وايرلندا وايطاليا وبلاد الشرق والدولة البيزنطية والجاليات المسيحية في مصر وبلاد الشام وغيرها، كما انتعشت التجارة البحرية بين مملكة الفرنجة وجيرانها في عهد شارلمان، وكانت أهم صادرات الشرق إلي مملكة شارلمان المنسوجات والأقمشة المزركشة والملونة والملابس الحريرية والمصنوعات الجلدية والروائح العطرية والأعشاب الطبية والتوابل والحيوانات والطيور الغريبة عدا المجوهرات الهندية وأوراق البردي المصرية، وفي مقابل هذا فقد كانت صادرات الغرب إلي الشرق تتركز في الحبوب والخمور والزيوت وكلاب الصيد والجوخ الثمين الذي اشتهرت به فريزيا .[٢]

حفظت حكومة شارلمان النظام في البلاد، فانتعشت التجارة تبعاً لذلك ولاسيما في مدن بروفانس ومنطقة الراين، غير أنها لم تكن أساسا إلا تجارة في أدوات الترف، وكذلك تواصل قطع الغابات وترتب علي ذلك زيادة رقعة الأراضي القابلة للزراعة[٣] ، وقد أحرزت المزارع الضخمة المكاسب علي حساب المزارع الصغيرة،وقد ساهمت الأديرة في هذا الشأن مساهمة كبيرة، حيث أصبحت مزارعها ومحاصيلها الزراعة رائجة في الأسواق الداخلية أو الخارجية، ونتيجة لنشاط الأديرة الزراعي والصناعي، أضحي لها نشاط تجاري لتسويق تلك المنتجات التي تصنع وتنتج بالأديرة، وشراء المستلزمات التي تحتاجها تلك الصناعات أو الزراعة بالأديرة، فقد كان وكيل الدير يرسل إلي أسواق المدن لبيع مشغولات الرهبان بالأسواق وشراء احتياجات

(١) سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٧٤
(٢) سعيد عاشور: المرجع السابق،ص٧٦
(٣) Guadagnin: Op.Cit.,P.305

الدير،[١] وفي الأسواق كانت ترتفع القيمة الاسمية للمصنوعات الديرية بين الناس، وذلك بفضل قدسية صانعيها وبركتهم.[٢]وعلي الصعيد الخارجي، فقد أقامت الأديرة في فرنسا نشاطاً تجارياً واسعاً، مع التجار الإيطاليين الذين كانوا يمدون الأديرة وكنائسها بالعطور والتوابل والبخور والأقمشة والتي كانت تستخدم في تجميل الأديرة و مذابح كنائسها ، كما استخدمت البخور وبعض التوابل أثناء إقامة القداس فيها، كما تم استخدامها أيضا كأدوية لعلاج بعض الأمراض.[٣] ويذكر البعض أن الكثير من الأديرة كونت لنفسها ثروات طائلة كبيرة استخدمتها في إقراض أصحاب الأراضي المتعثرين والفقراء.[٤] وخلاصة الأمر، أصبحت الأديرة ورهبانها يمثلون عاملاً إيجابياً منتجا في المجتمع الغربي، كما لم تعد ـ كما اتهمها البعض قديماً ـ مأوي للعاطلين وملاذاً للكسالى والهاربين من أعباء الحياة وتبعاتها.[٥]

موقف الأديرة من انهيار النهضة الكارولنجية:

ظل الارتباط بين شارلمان والأديرة حتى الأيام الأخيرة من حياته، فيذكر أنه فكر في أن يقضي ما تبقي له من عمر في أحد الأديرة، بهدف التنسك والتعبد والصلاة، إلا أن الموت لم يمهله، فقد توفي شارلمان في العاصمة آخن في ٢٨ يناير سنة ٨١٤م، وبوفاته لم تلبث الإمبراطورية الفرنجية الضخمة أن هوت فريسة للفوضى والحروب الأهلية.[٦] فقد تصدعت دولته بسبب

---

(١) فيلليكس: المرجع السابق،ص٢٧٣

(٢) جيبون: المرجع السابق،ج٢،ص٢٢١

(٣) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى،ج١،ص١٠٩-١١١

(٤) هلستر: المرجع السابق،ص ٢٣١

(٥) نعيم فرح: الحضارة الأوربية في العصور الوسطي،ص ٢٥٦

(٦) موس: ميلاد العصور الوسطي، ص٣٧٠، سعيد عاشور: النهضات الأوربية،ص٤٠-٤١، محمد محمد مرسي الشيخ،:تاريخ أوروبا العصور الوسطي،(أسكندرية،٢٠٠٠م)ص٣٠١

تقسيمها بين أبنائه، وساد الظلام مرة أخري الغرب الأوربي حتى أخريات القرن العاشر تقريباً، حيث تعطلت الحياة الفكرية بشكل تام، بعد تعطل مدارس الدولة والبلديات، باستثناء مدارس الأديرة لعدم توافر الأمن والنظام.[١] فقد تحول الفتور إلي تدهور تدريجي بعد وفاة شارلمان ٨١٤م وبالرغم من ذلك كان من الممكن أن تستمر جميع مدارس الأديرة والكاتدرائيات التي أسسها شارلمان في أداء رسالتها العلمية لو توفر لها الأمن والنظام، ولكن للأسف لم يتوفر لها شيء من ذلك في القرن التاسع مما جعل الحياة مهددة في معظم الأديرة. وزاد البلاء سوءًا أن الأديرة والكاتدرائيات عندما عرف عنها أنها مخبأ الثروات الضخمة والكنوز الخفية، ومن ثم أصبحت مقصد المغيرين. وبالرغم من ذلك فقد استمر عدد كبير من الأديرة في أداء رسالتها الثقافية مثل دير فولدالFuldal وفليري Fleury ، وسانت جول ودير لورخ Lorsch، ودير بوبيو Bobbio، ومونت كاسينوMont Casino،وقد أنجبت تلك الأديرة كتاباً معروفين لهم إسهاماتهم في الحياة الأدبية والثقافية،وقد ظلت هذه الأديرة تؤدي رسالتها العلمية في القرن العاشر.[٢]

ولم تلبث مساعي شارلمان الحضارية، أن ماتت بموته فبكته العلوم لأنها لم تجد لها في معظم خلفائه نصيراً،[٣] وعلي الرغم من ذلك فإن هذه الحركة العلمية الضخمة التي بدأها شارلمان لم تندثر بسرعة عقب وفاته سنة٨١٤ م، فقد انعقد مجمع كنسي سنة٨٢٩ حثت فيه قراراته خليفته

---

(١) Bouttier.: Monasteres des Pierres.,P.13

(٢) Brown: The Rise of Western Christendom.,P.446، سعيد عاشور: النهضات الأوربية ،ص٨٨-٨٩

(٣) Ullmann:The Carolingian Renaissance and the Idea of Kingship.,P26

لويس التقي، أن يحذو حذو أبيه في تشجيع المدارس والتعليم،[١] وخلاصة الأمر فقد ظل برنامج التعليم والثقافة الذي وضعة الديريون والذي تلي سقوط الدولة الكارولنجية باقياً،فقد استمرت الأديرة في عطائها وتحملها للمسئولية في حمل مشاعل العلم والتنوير بعد وفاة شارلمان، مما أتاح الفرصة لكثير من العلماء والمثقفين أن يعتمدوا عليه في تأسيس ما عرف بالجامعات في العصور الوسطي،[٢] وبفضل الرهبان الديريين الذين مثلوا نحو التسعين بالمائة من جملة المتعلمين في الفترة من بين عامي ٦٠٠-١١٠٠م في أوربا ليسهموا في بناء مجتمع أوربي منظم خلال العصور المظلمة وما بعدها، كما أنها كانت إرهاصا للنهضة الأوربية في القرن الثاني عشر الميلادي. [٣]

---

(١) Rashdall: The ,Bouchard: the Cartulary of St. Marcel.,P.3 Universities of Europe.,Vol.,1,PP.30-31 ، سعيد عاشور: أوربا في العصور الوسطي،ج٢،ص٣٣٦

(٢) جوزيف نسيم يوسف: الجامعات في العصور الوسطي،ص ٥٥،

(٣) Rashdall: The Universities of Europe.,Vol.,1,P.30 Banniard: Op.Cit.,P.88، موس: ميلاد العصور الوسطي،ص٤١٠ جوزيف نسيم: المرجع السابق،ص ٦٩ ،كانتور:التاريخ الوسيط:قصة البداية والنهاية،ق١،ص٢٢٤

خاتمة:

ناقشت هذه الدراسة دور الأديرة في النهضة الحضارية التي قام بها شارلمان في غرب أوربا، فالمعروف أن الأديرة كانت القاعدة الرصينة للمجتمع الأوربي في تلك الفترة،وهي التي ساهمت في إعادة بناء هذا المجتمع من جديد، بعد النكسات التي تعرض لها علي يد البرابرة الجرمان. فقد نهض هؤلاء الرهبان بواجبهم تجاه مجتمعهم، متبنين سياسة نشر العلم والمعرفة، باعتباره الطريق الوحيد لإعادة بناء الحضارة الأوربية. وتلاقت أهداف شارلمان عندما بدأ يفكر في بناء نهضته الحضارية الشاملة مع ما كان يهدف إليه رهبان تلك الأديرة ، في العديد من النقاط الرئيسية لتلك النهضة، التي كان أسماها وأعلاها شأناً هو نشر التعليم، من أجل رفعة الدين وإحياء التراث المسيحي، وبعث حياة جديدة فيه، ليصل إلي كل مناطق أوربا الغربية. ولذلك يمكن القول أن النهضة الكارولنجية التي أقامها شارلمان هي واحدة من الحركات الحضارية الهامة في العصور الوسطي ومستهل العصور الحديثة، والتي مهدت لظهور ما عرف بالنهضة الأوربية في القرن الثاني عشر.

لذلك فقد شكل الرهبان القوي البشرية التي نفذت ما كان يهدف إليه شارلمان وعلماؤه الذين استعان بهم من خارج المملكة في مختلف التخصصات العلمية، فلقد كان هؤلاء الرهبان مؤهلين، ومعدين إعدادًا جيداً، منذ ظهور القواعد الديرية التي سنها وأقرها لهم القديس بندكت النورسي في القرن السادس، لذلك وجد شارلمان أمامه جنوداً مدربين من الرهبان، جاهزين لتنفيذ ما يسند إليهم من مهام، سواء كانت هذه مهام علمية أو دينية، فقد عاش هؤلاء الرهبان في مصادر التنوير ومراكز للحياة الفكرية ــ ليس فقط ــ بل كان هؤلاء الرهبان من أمهر من عمل في المجالات الزراعية أو الصناعية أو حتى في الفنون المختلفة. لذلك عمل الطرفان(شارلمان

والرهبان) في تعاون وتناسق تام من أجل هدف واحد هو نصرة المسيحية، وبناء حضارة زاهرة في الغرب الأوربي، وقد برزت نتيجة هذا التعاون في انتشار التعليم، وتم أحياء اللغة اللاتينية في تلك الحقبة، الأمر الذي صاحبه إحياء للتراث الحضاري القديم الذي خلفه الأجداد اليونانيين والرومان، كذلك تم النهوض بكل نواحي الحياة لأوربا الغربية، وغدت الحضارة تضرب بظلالها الغرب الأوربي، الأمر الذي مهد الطريق في النهاية للوصول بالغرب الأوربي إلي ما عرف بعد ذلك بنهضة القرن الثاني عشر. وهذا ما قصدت الدراسة إلي إبرازه، وأدعو الله تعالي التوفيق فيما قصدت.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Banniard.M.: Genese Culturelle d`L`Europe.,(Paris,1990)
- Baslez .F.M.: Les Premiers temps des L`Eglise., (Paris,2004)
-Bettenson.H.: Documents of the Christian Church,2nd Edition,(Oxford,1963)
- Bougard. F.:Miroir du Moyen Age ,Paul Diacre, Histoire des Lombards,(Isbn,1994)
- Bouchard (C.B): The Cartulary of St. Marcel- les-Chalon 779-1126,(Cambridge,1998)
- Bouttier.M.: Monasteres: des pierres pour la priere, (Paris,1993)
- Bredero.H.A.: Cluny et Citeaux Au Douzieme siecle, (Paris,1985
- Brown (p): The Rise of Western Christendom A.D.200-1000,2nd Edition, (Princeton,2003)
- Buhrer-Thierry(G):L`EuropeCarolingienne(714-888)(Isbn,2001)
- Butler: "Monasticism" In Cam. Med. Hist.Vol.1 (Cambridge,1964),
- Cannon .W. :Histoire du Christianisme Au Mayen age, (Paris,1961)
- Clark:The Culture of Medieval English Monasticism.,
- Copuani M.:L`Egypte Copte.,(Mozenod,Paris,1999)
- Cowderey .H. E.D: The Cluniacs and The Gregorian Reform,(Oxford,1970)
- Cuisenier(J): Un Village au temps de Charlemagne.,(Paris,1988)
- Davis(H.C.): Charlemagne,(London,1928)
- Deanesly(H): " Medieval Schools" In Cam. Med. Hist.(Cambridge,1964), Vol.5,
- Douglas(D):English Historical Documents.,(London,1961)
- Fauvarque: Christianisation en Gaul de Clovis a Charlemagne ,(Paris,1996)

- Hoffmann.H.: Die Chronik Von Monte Cassino., (Hannover,1980)
- Hunt. N. : Cluny under Saint Hugh,1049-1109, (London,1967),
- Kleinclausz(A): Charlemagne,(France,2005)
- la Rocca Cr.: Italy in the Early Middle Ages,476-1000, (Oxford,1998)
- Lancel.S.: Saint Augustin. (Paris,1995)
- Litt.(D.):"Learning and literature till Pope Sylvester II" In Cam. Med. Hist.,Vol.,III,(Cambridge,1964),
- McKitteric.R.:The Early Middle Ages Europe, 400:1000, (Oxford,1998)
- Reynolds(S):Fiefs and Vassals.,(New York.,1994)
- Saulnier.Ch.&Chedeville.A.,:Les Grandes dates du Christianisme., (Paris,1989
- St. Gregory : Life and miracles of St. Benedict, tran. by Ono.J. Zimmermann, (Minnesota,1949).
- Southern (R.): The making of the middle ages., (London,1953)
- The Count De Montalembert : The Monks of the West.,Vol., 5 (New York 1966) .
- Thompson. H :" The Monastic orders" In Cam., Mid., Hist., vol.,5 ,(London,1948)
- Ullmann(w):The Carolingian Renaissance and the Idea of Kingship
- Wallace-Hadrill(J):Bede is Ecclesiastical History of the English People,(Oxford,1988)
- Wood (S): The Proprietary Church in the Medieval West,(Oxford,2006)

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- جوزيف نسيم يوسف: نشأة الجامعات في العصور الوسطي،(النهضة العربية،١٩٨١م)
- جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العصور الوسطي،(إسكندرية،١٩٨٨م)
- جيبون (ادوارد): اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الثاني، ترجمة محمد سليم سالم، طبعة٢(القاهرة،١٩٩٧م)
- دوسن(كرستوفر): تكوين أوربا، ترجمة، محمد مصطفي زيادة و سعيد عبد الفتاح عاشور، (مؤسسة سجل العرب،١٩٦٧م)
- ديفز(هـ.و): أوربا في العصور الوسطي، ترجمة عبد الحميد حمدي محمود، ط أولي(دار المعارف١٩٥٨)
- ديورانت(ول.): قصة الحضارة، المجلد السابع ،ج١٤، ترجمة محمد بدران،(القاهرة،٢٠٠١م)
- رءوف حبيب: تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثار هما الإنسانية علي العالم،(مكتبة المحبة ،١٩٧٦م)
- سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطي، ج٢ ، النهضات والحضارة والنظم ،(القاهرة١٩٧٨م)
- سعيدعاشور، محمد أنيس: النهضات الأوربية في العصور الوسطي وبداية الحديثة(القاهرة،١٩٥٦م)
- سعيد عاشور: الجامعات الأوربية في العصور الوسطي،(القاهرة،١٩٥٩)
- عمر طوسون : وادي النطرون ورهبانه وأديرته، ومختصر تاريخ البطاركة،(مكتبة مدبولي،١٩٣٥م)
- فيشر (هـ. أ ل.): تاريخ أوربا العصور الوسطي، الجزء الأول، ترجمة محمد مصطفي زيادة، السيد الباز العريني، طبعة خامسة (دار المعارف،١٩٦٩م)
- فيلليكس(ارماند): حياة الشركة الباخومية، ثلاثة أجزاء، ترجمة أشعياء ميخائيل،طبعة أولي (القاهرة،١٩٨٦م)
- كانتور(نورمان): التاريخ الوسيط، قصة حضارة: البداية والنهاية،ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعةالخامسة،(القاهرة،١٩٩٧م)
- كين (موريس): حضارة أوربا العصور الوسطي، ترجمة قاسم عبده قاسم، الطبعة الأولي (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤م)
- متي المسكين: رهبنة مصر ودير القديس مقار،(القاهرة،١٩٨٥م)

- محمد محمد مرسي الشيخ:دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر (إسكندرية، ١٩٨١م)
- محمد محمد مرسي الشيخ: النظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطي،(القاهرة،١٩٩٦)
- محمد محمد مرسي الشيخ:تاريخ أوروبا العصور الوسطي،(إسكندرية،٢٠٠٠م)
- محمود سعيد عمران، حضارة أوربا في العصور الوسطي(إسكندرية،١٩٩٨م)
- محمود محمد الحويري: اللومبارديون في التاريخ والحضارة٥٦٨-٧٧٤م(القاهرة،١٩٨٥م)
- نعيم فرح: الحضارة الأوربية في العصور الوسطي،(دمشق،١٩٩٩-٢٠٠٠م)
- موس (هـ): ميلاد العصور الوسطي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مكتبة عالم الكتب (القاهرة،١٩٦٧م)
- هايد (ف): تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطي،ج١، ترجمة أحمد محمد رضا،(القاهرة،١٩٨٥م)
-هلستر(.ورن.س):أوربافي العصورالوسطي،ترجمة محمد فتحي الشاعر، (مكتبة الأنجلو،١٩٨٨م)